جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الغزو المغولي لبلاد جِيلان
(٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)

إعداد
د/ مصطفى خلف عبد العال محمدين
مدرس في قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربيّة بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)
علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الغزو المغولي لبلاد جِيلان (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)

مصطفى خلف عبد العال محمدين
قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني/ mstfykhlfbdalal@gmail.com

الملخص:

لا شك أن المغول خرجوا من مقرهم وغَزْو البلدان يسيطر على تفكيرهم، فهم يعتقدون أن وجودهم لأجل السيطرة والتملك وحكم البلاد، فاكتسحوا أمامهم جزءًا كبيرًا من قارة آسيا، فقد غزوا الصين وبلاد القفجاق، وفارس وما وراء النهر، وبلاد العراق، وغزوا الشام أكثر من مرة، وأرادوا مصر غير أنهم اصطدموا بالقوة الفتية آنذاك وهم المماليك، فكان ذلك الاصطدام نهاية لهجمتهم، وبلاد جِيلان من جملة ضحايا هذه البلدان التي طالها أذاهم، وخضعت لهم، على الرغم من أنها ظلت في مأمن من قادة المغول وخاناتهم وإيلخانتهم دهرًا طويلًا، إلى أن كان عهد السلطان محمد خدابنده، فكان على يديه غزوها، والبحث عرض عرضًا موجزًا لموقع تلك البلاد، وحدودها، وطبيعة أرضها الجغرافية، وسكانها، وأهم مدنها، كما عرض البحث كذلك المحاولات السابقة على السلطان محمد خدابنده لغزو تلك البلاد، وفشلها والسبب في ذلك، ثم محاولاته الودية معهم لفتح الطرق إلى بلادهم، ورد فعلهم الذي أغضب السلطان، وجعله يتخذ قرار غزوهم، وتناول البحث كيفية غزو تلك البلاد، وفصَّلَ الجيوش والفرق التي أُرسلت إليها، وما وقع معها من معارك، وما انتهت إليه الجولات العسكرية بين الطرفين، وأخيرًا خُتم البحث بعرض ما آل إليه الجِيلانيون بعد غزوهم، وما افترضه المغول من خراج عليهم، ضمانًا لخضوعهم وولائهم، واستسلامهم.

الكلمات المفتاحية: الموقع الجغرافي، العلاقات المغولية الجِيلانية، غزو المغول لجِيلان، الخراج، العسكر.

The Mongol invasion of Gilan (707 AH/ 1307 AD)

Mustafa Khalaf Abdelaal Muhammadin
Department of History and Civilization, College of Arabic Language in Assiut, Al -Azhar University, Egypt..
Email: mstfykhlfbdalal@azhar.edu.eg

Abstract:
There is no doubt that the Mongols came out of their headquarters and the invasion of the two countries dominating their thinking, they believe that their presence for control, ownership and rule of the country, so they swept before them a large part of the continent More than once, and they wanted Egypt, but they collided with the young power at the time, and they are the Mamluks, so that collision was the end of their attack, and the countries of generation of the victims of these countries that affected them, and were subjected to them, although they remained safe from the leaders of the Mongols, their fields and their eternity for a long time, Until the era of Sultan Muhammad Khadbanda was on his hands, and the research was presented with a brief presentation of the location of those countries, its borders, the nature of its geographical land, its inhabitants, and the most important of its cities. Then his friendly attempts with them to open the roads to their country, their reaction that angered the Sultan, made him take the decision to invade them, and the research dealt with how to invade those countries, and separated the armies and the teams sent to them, the battles that occurred with them, and what the military tours between the two parties ended up with, and finally The research was concluded by presenting what the generation of the generated after their conquest, and the abscess of the Mongols against them, in order to ensure their submission, loyalty, and surrender.

Keywords: Geographical location, Gelatinous Mongol relations, Mongol invasion of Jilan, Al -Kharaj, Al -Askar.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعد،،،

شهد العالم الإسلامي منذ مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي هجمة شرسة مدمرة على أيدي المغول، والذي على أثره قام جنكيز خان المغولي وأبناؤه باجتياح المشرق، ثم تمكن أحفاده وأتباعه من إسقاط الخلافة العباسية بعد منتصف القرن السابع الهجري.

وقضى المغول على معالم الحضارة في تلك البلاد، فلم تسلم مدينة من بطشهم، فقد كانوا يسيرون وفق مخطط عسكري محكم، يستغلون فيه كل الوسائل التي تساعدهم على تحقيق بغيتهم وهدفهم بأقل عناء، نجحوا بالفعل في ضرب القوى والممالك بكل قوة، وأطاحوا بها الواحدة تلو الأخرى.

ومن المدن والبلاد التي لم تسلم من عدوانهم وغزوهم، بلان جِيلان (كيلان)، والتي كانت عبارة عن مجموعة بلدان صغيرة، أو عدة قرى، وهي لا تبعد عن المناطق والأماكن التي سيطر عليها الإيلخانيون واستقروا بها، ورغم ذلك بقيت ردحًا من الزمن بعيدة عن متناول أيديهم، حيث إنهم لم يقوموا بغزوها إلا في سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، مما يعني أنها ظلت ما يربو على الستين عامًا ــ منذ أن قدمت جحافلهم إلى البلدان الغربية (العراق وإيران) ــ في مأمن من بطشهم.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع (غزو جِيلان) لأنني لم أجد دراسة مستقلة ـ فيما أعلم ــ تتكلم عن غزو المغول لتلك البلدان، اللهم إشارات بسيطة توجد في ثنايا المصادر والمراجع تتحدث عن سيطرة المغول عليها.

هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى كي أظهر أسباب عصيانها، ورفضهم المستمر لطلب الإيلخانيين بفتح الطرق إلى بلادهم، ذلك كله على الرغم من صغر مساحتها، وقلة عدد جيشها، وتفرق واختلاف حكامها وأمرائها، ولكي أبيَّن

ـ أيضًا ـ ما هو تصرف الإيلخانيين إزاء هذا العصيان والتعنت، وكيف تم لهم غزوها والسيطرة عليها، وإجبارها على دفع الخراج السنوي لهم.

وقد عنونت لبحثي هذا بعنوان: "**الغزو المغولي لجِيلان (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)**" وتم تقسيمه إلى مباحث أربعة، عرضتُ في كل مبحث جانبًا مهمًا من جوانب البحث.

جاء المبحث الأول بعنوان:" **الموقع والطبيعة الجغرافية والبشرية لبلاد جِيلان**"، وعرضتُ فيه موقعها الجغرافي، وأقسامها، وطبيعتها الجغرافية، ووصف لمنازل أهلها، ومدنها، وطبيعة سكانها، وظروفهم الاقتصادية، والعسكرية، وأهم مدنها.

والمبحث الثاني جاء بعنوان: "**العلاقات المغولية الجِيلانية قبل غزوها**"، وتحدثت فيه عن محاولة هولاكو خان غزوها، ثم عن أوضاعها إبان عهد السلطان محمد خدابنده، والأسباب التي دعته لغزوها، والمراسلات التي كانت بين السلطان محمد وبين الجِيلانيين.

وقد جاء المبحث الثالث بعنوان: "**غزو جِيلان وخطة السيطرة عليها سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)**" وتكلمت فيه عن الخطة التي وضعها السلطان محمد خدابنده لغزوها، وتقسيمه للفرق العسكرية وقادتها، ومعاركهم وجهدهم في إسقاطها والسيطرة عليها في نهاية الأمر.

والمبحث الرابع جاء بعنوان: "**جِيلان بعد سيطرة المغول عليها**"، وتكلمت فيه عن حالها بعد السقوط، وعن الخراج الذي فرضه السلطان محمد على **جِيلان** وأمرائها، وعن المحاكمة التي أقامها السلطان محمد لمعاقبة المتقاعسين عن غزو جِيلان، ومرتكبي الأخطاء العسكرية في أثناء الحرب.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال بحثه.

ثم ذيَّلتُ البحث **بقائمة** لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

وفي النهاية: أرجو من الله تعالى أن أكون قد وُفقت في هذا العمل، وأن يثبت للقارئين والباحثين أن المغول لم يتركوا بلدًا من البلدان التي من الممكن أن تمتد إليه أيديهم إلا وقاموا بغزوه، ونهب مقدراته وأقواته.

وأخيرًا: أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين، فهو من وراء القصد والسبيل، وبالإجابة جدير.

﴿.. وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١).

د/ مصطفى خلف عبد العال محمدين
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ
كلية اللغة العربية بأسيوط ـ جامعة الأزهر

(١) سورة هود: من الآية (٨٨).

المبحث الأول: الموقع والطبيعة الجغرافية والبشرية لبلاد جِيلان

بلاد كيلان: هي موضع بالري[١]، وهو اسم لبلاد كثيرة من بلاد منفصلة بين الديلم[٢] والجبال وأذربيجان[٣] وبحر الخَزَر[١]، وتقع هذه البلاد في منطقة

(١) الحِمْيَري (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص٥٠٥.

والري: هي آخر الجبال من ناحية خراسان، وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد، كثيرة الخيرات، وافرة الغلات، والرّيّ أقرب إلى خراسان، وهي مدينة إيرانية حاليًا. البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، جـ٢، ص٦٩٠. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني ت٦٨٢هـ/ **١٢٨٣م**): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، ص٣٧٥.

(٢) الديلم: هو القسم الجبلي من بلاد جِيلَانْ، وهي ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلها بها، أحدها يسمى تردوسيان، والثاني يسمى المرونج، والثالث يسمى واران، ويحدها شرقًا الري وطبرستان، ومن الشمال بحر الخزر، والغرب أذربيجان، ولكل جبل منها رئيس، والجبل الذي فيه الملك الذي يترأس الديلم كله يسمى الكروم، وجبال الديلم كثيرة الغياض والشجر والمطر، وتمتاز بخصوبتها العالية. الكرخي (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٠٤. ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق/ أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٢٣.

(٣) أذربيجان: هي ناحية واسعة بين قهستان وأران على بحر قزوين، بها مدن كثيرة وجبال وقرى، وهي إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا، وعاصمتها باكو. القزويني: آثار البلاد، ص٢٨٤. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، **١٤١٣هـ /١٩٩٣م**، ص٤٠٥.

صحراوية بين البحر والجبال[٢]، وراء بلاد طبرستان[٣]، وكيلان ليست مدينة كبيرة، إنما هي عدة قرى في مروج مختلفة[٤].

ويطلق على كيلان ـ أيضًا ـ جِيْلان[٥]: وهو المسمى العربي لها، كما يُطلق على من يُنتسب إليها جِيْلَاني وجِيلي، فمن نُسب إلى البلد (جِيلان) أُطلق

=

(١) بحر الخزر: هو بحر طبرستان وجرجان وآبسكون، وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره، ويسمى أيضا: البحر الخراساني والجيلي، وربما سماه بعضهم: الدوارة الخراسانية، ويحده من الشرق بلاد الديلم، وجرجان، وخوارزم، ومن الغرب الران، وبلاد الخزر. ابن حوقل (محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، جـ٢، ص٣٨٦. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م، جـ١، ص٣٤٢.

(٢) مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة/ السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥٧. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٥٣.

(٣) طبرسان: هي بلاد كثيرة عامرة، وتكثر المياه والثمار والأشجار بها، ومن مدنها طبرستان وآمل وناتل وكلار وميلة ومامطير وسارية وطميسة وأستاراباذ وجرجان ودهستان. الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨، جـ٢، ص٦٧٨.

(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٠١. ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، جـ١، ص٣٦٨.

(٥) وجِيلان الآن: هي إحدى المحافظات الشمالية لإيران، وعاصمتها أو مركزها مدينة رشت.

عليه جِيلاني[١]، ومن نُسب إلى رجل وإلى شخص منهم أطلق عليه جِيلي[٢]، فالجِيل (بالكسر) هم أهل جِيْلان[٣].

ومن الجدير بالذكر أن هناك فرق بين جِيْلان بالكسر، وبين جَيْلان بالفتح؛ فجِيلان هي مجموعة البلاد التي هي محل البحث، **وجَيْلان** هؤلاء هم قوم من بلاد فارس انتقلوا من نواحي إصطخر (بلدة بفارس) فنزلوا بطرف من البحرين، فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك[٤].

(١) وأشهر من نسب إليها: الإمام عبد القادر الجِيلاني، وهو الأمام العالم عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دُوست الجِيلاني، ولد سنة (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، وقد توفى ببغداد سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، السخاوي (أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبَغا ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق/ شادي محمد سالم، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، جـ٦، ص٤٠٨م. ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق/ محمد الكاظم، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، جـ٥، ٦٩، ٧٠.

وكذلك من أشهرهم: محمد بن نوامير الجِيلاني، وهو عبد الله بن عمر بن الحسين، يُنتسب إلى بيت كبير في جِيلان، وكانت لهم دار كبيرة للضيافة، وهو حنبلي المذهب، وتوفي سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م). ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م، جـ٦، ص٣١.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٢٠١.

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٠٢. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، جـ١، ص٣٦٨.

(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٠١. ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ١، ص٣٦٨.

وبلاد جِيلان يحدها من الشرق طبرستان، ومن الغرب موقان[١]، وعراق العجم[٢]، ويفصل بينهما جبل يعرف بـ(أشناده) في مازندران، في سفحه الجنوبي قرى ممتدة تسمى بلاد التارم[٣] داخلة في مملكة جِيلان، وتُدار من قبل ملوكها[٤].

وتنقسم بلاد جِيلان باعتبار طبيعتها الجغرافية إلى قسمين: وبين هذين القسمين نهر (سبيد رود[٥]) الذي يمر في وسطهما ويصب في بحر الخزر، فالقسم الأول: يشمل المنطقة التي بين بحر الخزر وبين هذا النهر، ويطلقون

(١) مُوقان: وتسمى "مُوغان"، وهي مدينة بخراسان من أعمال طوس، وأكثر أهلها تركمان، ولها سور حصين منيع، وبها قبر موسى الرضا، وقد كانت دار الإمارة إلى أيام الدولة الطاهرية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص٢٢٥. الحميري: الروض المعطار، ص٥٦٦.

(٢) عراق العجم: هو إقليم يطلق عليه ـ أيضًا ـ بلاد الجبل وكرسيّه أصفهان. العُمَري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق/ بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، جـ٢٧، ص٤٠٧.

(٣) تارَم: وهي منطقة واسعة في الجبال بين قزوين وبين جِيلان، فيها قرى كثيرة وجبال وعرة، ينسب إليها أحمد بن يحيى التارمي المقري. ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٢، ص٦.

(٤) العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٣٣.

(٥) سبيد رود: هو نهر يخرج من جبل حويرث من بلاد أرمينية متجها نحو الغرب، فيقطع وسط جِيلان ويصب في بحر الخزر. مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص٦٣.

عليه اسم هذا الجانب من النهر؛ والقسم الآخر: يشمل المنطقة التي بين هذا النهر ـ السابق ذكره ـ وبين الجبل(١).

ومما يجب الانتباه له أن **الطبيعة الجغرافية للأرض** في جِيلان ليست سهلة، فالمسالك إليها صعبة؛ لكثرة ما بها من الجبال والوهاد(٢) والأشجار والمياه، هذا فضلًا عن كثرة المطر بها، والذي يستمر بها ـ في بعض الأحيان ـ أربعين يومًا لا ينقطع ليلًا ولا نهارًا، حتى أن الناس يتأذون منه(٣).

لأجل ذلك؛ كانت بلادهم محصنة تحصينًا طبيعيًا؛ فالبحر من جانب، والجبل من جانب آخر، مما ترتب عليه صعوبة الدخول إليهم، كما أنهم لا يدينون لملوك إيران، فأهلها دائمًا يتمردون على من يحكم إيران ولا يطيعون أحدًا(٤).

وعلى الرغم من صعوبة المسالك في أرضهم؛ إلا أنها تمتاز بخصوبتها، فلكل ناحية من نواحيها مناطق خصبة، فهي بلاد رخاء، وحَبّ وفاكهة، كما أن أسعارها رخيصة(٥)، وأنهارها كثيرة، وفواكهها متنوعة، من نخل وموز وقصب السكر ومشمش، وغيره(٦).

---

(١) مجهول: المصدر السابق، ص١٥٧.

(٢) الوَهْدُ: هو المكان المنخفض، كأنه حفرة، تقول: أرض وَهْدَة، ومكان وَهْد، أي به حفر. الفراهيدي (الخليل بن أحمد ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م): كتاب العين، تحقيق/ عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، جـ٤، ص٤٠٢، مادة (وهد).

(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٥٣.

(٤) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٣٥.

(٥) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٥٧. العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٣٦.

(٦) العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٣٤.

وطبيعة مدنهم العمرانية: فمنازل أهلها منها ما يُصمم من الأخشاب، والأخصاص[١] وسط الأشجار، ولا حدّ لكثرة أشجارها التي تمتاز بالطول والغزارة[٢]. ومنها ما يبنى بالطوب المحمي عليه، فتُفتَرش بالطوب مثل بغداد، وتُسقف بالخشب، وبعضها معقودة أقباء، وعليها قش مضفور، وفي أغلب تلك البيوت توجد أبار للشرب قريبة المستقى، كما توجد الأنهار ـ في الغالب ـ في كل مدينة[٣].

وقصور ملوكهم يُتخذ بظواهرها ميادين خضراء، يعمل في أوساطها قصورًا صغيرة من الخشب، فيها جلوسهم للمظالم[٤]، كما تنتشر بها المساجد الجليلة، والمدارس العظيمة، هذا فضلًا عن كثرة الزوايا بها، والحمامات التي يجرى إليها الماء من الأنهار[٥].

وطبيعة السكان في بلاد جِيلان: فالرجال غلبت عليهم القسوة والشدة، ويتضح ذلك من الشكل العام لهم[٦]، أما عن نسائهم فيختلفن عن الرجال، فقد

---

(١) الأَخْصَاص: جمع خُص، والخُصُّ هو البيتُ المسقوف بالخشب على هيئة الأَرَج، الفراهيدي: كتاب العين، جـ١، ص٤١٣، مادة (خصص).

(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٥٣.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٣٤.

(٤) العمري: المصدر السابق، جـ٣ ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٥) العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٣٤.

(٦) وقد وصفهم الصفدي بقوله: "وكانوا أشكالا غريبة، ولهم أحوال عجيبة. تفر العقول إذا أقبلوا، وتتعجب منهم إذا نقروا وطبلوا. تتحرك عليهم تلك الكعاب، ويهول مرآهم العجوز والكعاب، قرون من اللباد معقفه، وشوارب فوق شفاههم موقفه، وعلى أكتافهم تلك الجواكين، وهيأتهم كما يقال: ما تنقطع بالسكاكين، إذا خطروا صوتت تلك الأجراس وجعلوا ربوع العقول في عداد الأدراس، قصَّهم الناس في الخيال". الصَّفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق/ علي أبو =

وُصفن بأنهن على قدر كبير من الحسن والجمال، كما يوجد بها من الخيل الهماليج[١] ما لا يوجد في غيرها من البلاد، ولم ير أحسن منها صورة ومشيًا[٢].

وبلاد جِيلان لا يدخلها مملوك ولا جارية، فجُلّ أهلها أحرار، ولا يتعدى الواحد منهم شأن أبيه وما كان عليه، حتى أن الفلاح منهم ليقتني العدد الكثير من الخيل ليبيعها، ويربح من أثمانها[٣].

وأهل جِيلان يمتازون بالتديّن والالتزام، فلو أن أحدًا منهم شتم أحدًا آخر، أو شرب نبيذًا، أو ارتكب معصية أخرى؛ فإنهم يضربونه من أربعين إلى ثمانين عصا[٤]، كما أن فقهاءهم في كل بلدة يستأذنون أميرها في كل عام للتفتيش عن الناس، بُغية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يوقِّعون العقاب بالضرب على مرتكبي الذنوب والأخطاء[٥].

ويتصف جُلّ أهلها بتعصبهم لأنفسهم بكل شدة، فعلى سبيل المثال: إذا قُتل أحدٌ من الناس بسبب العصبية فإن الحرب تقوم بينهم، إلى أن يلتحق القاتل بالجندية، أو أن يموت، أو أن يصبح شيخًا[٦].

=

زيد، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، جـ١، ص٦٨٢.

(١) الهماليج: والهَمْلَجة: هي حسن السير والمشي في الدابة، في سرعة وبختره. الفراهيدي: كتاب العين، جـ٤، ص٣٢٤.

(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٥٣.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٣٦.

(٤) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٥٧.

(٥) القزويني: المصدر السابق، ص٣٥٤.

(٦) مجهول: المصدر السابق، ص١٥٧.

وأهلها يتعيشون في مأكلهم على السمك والأرز الجيد[١]، ويعملون منه خبزًا حسنًا، ورقاقًا مع ما تيسر من القمح والشعير، وتكثر الأغنام والأبقار عندهم، لذا أسعارها كانت متوسطة إلى أرخص[٢].

ولباس أهلها عبارة عن أقبية إسلامية ضيقة الأكمام وتخافيف[٣] صغيرة، ويشدون المناطق[٤]، ولملوكهم زي جميل على قدر دخل بلادهم، فإنه ليس بالكثير لضيق بلادهم، وزيهم كلهم قريب من الزي العسكري الخوارزمي[٥].

أما من الناحية الاقتصادية: فأغلب أهلها يتعيشون من كسب أيديهم، ويمتهنون المهن المفيدة، فبعضهم يمتهن مهنة صيد الأسماك، ثم بيعها إلى

(١) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٥٨. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٥٣.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٣٤.

(٣) والتخفيفة: هي عبارة عن قلنسوة أو عمامة خفيفة توضع على الرأس، وسُمِّيت بذلك؛ لأنها تكون خفيفة ولطيفة على الرأس، وجُمعت على تخافيف، وتطلق ـ أيضًا ـ على الملاءة الصغيرة أو الرداء الذي تغطي به المرأة رأسها. رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس (في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث)، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥٣، ١٥٤. رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة/ محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، جـ٤، ص١٤٦.

(٤) المناطق: هو كل ما يُشد به الوسط. ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري ت ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ١٠، ص٣٥٤، مادة (نطق).

(٥) العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٣٥.

البلاد المجاورة، ومنهم من يصنع المكانس والحصر[١]، ويهتم نساؤها بنسج الميازر والمشدات الفرية الجيدة، ويُحمل منه ـ أيضًا ـ إلى سائر البقاع[٢].

ومما اشتهروا به أن الأكثرية من أهلها ينتجون الإِبريسَم[٣]، والنساء عندهم تربين دود القز لإنتاج الحرير الذي يعد ميزة لهذه البلاد، لذا يكثر الرجال من زراعة التوت، كما أنهم يزرعون الأرز لأجل طعامهم[٤].

ومن الناحية العسكرية: فالمدن في بلاد جِيلان ـ على الجملة ـ غير مسورة (لا توجد حولها أسوار)؛ إلا أنها محصنة تحصينًا طبيعيًا، والذي ساعدها على ذلك موقعها ما بين الجبل والبحر، كما أن لهم حصونًا أخرى في نواحي مازندران، يتحصنون بها إذا فاجأهم عدو أو قاصد، وعدة جنودها تقارب العشرين ألف جندي، منها المطوعة وغير المطوعة، ما بين راجل وفارس[٥].

وفي كل بقعة من بقاعها ملك أو حاكم يستقل بذاته، والعلاقة التي بين ملوكها لم تكن ـ في أغلب الأحيان ـ على وفاق، بل كان النزاع والشجار بينهم قائمًا، غير أنه إذا قصدهم عدو من غيرهم (خارجي) تكاتفوا واجتمعت قلوبهم، وصاروا حزبًا واحدًا على عدوهم[٦].

هذا، ولم تكن العلاقات سيئة فيما بين ملوكها فقط؛ بل كانت كذلك مع المجاورين لها، فعلاقاتها مع البلدان المجاورة لم تكن سلمية مستقرة؛ فالطابع

---

(١) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٥٨.

(٢) القزويني: المصدر السابق، ص٣٥٤.

(٣) الإِبريسَم: هو الحرير الخام، الزَّبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، جـ٣١، ص١٨١.

(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٥٣.

(٥) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣ ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٦) القزويني: المصدر السابق، ص٣٥٣. العمري: المصدر السابق، جـ٣ ص٢٣٤، ٢٣٥.

العدائي يغلب عليها، من خصام وشجار، فعلى سبيل المثال: على طول حدودها مع بلاد الديلم كل يوم مرة أو مرتين ينشب النزاع بين قرية وأخرى[١].

وأهل جِيلان مسلمون سنة، يلتزم أغلبهم بمذهب الإمام أحمد بن حنبل[٢] (حنابلة)، ويذكر بعض المؤرخين أنه لا يستطيع أن يسكن بينهم مبتدع[٣]، كما أن الأكراد[٤] يعدون جزءًا كبيرًا من سكانها[١].

(١) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٥٧.

(٢) أحمد بن حنبل: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله، من بني ذهل بن شيبان، ولد سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م، وطلب العلم وهو ابن خمسة عشرة سنة، وسمع من سفيان بن عيينة، ووكيع، ويحي القطان، ومحمد بن إدريس الشافعي، وعبد الرزاق، وغيرهم، وقد بلغ شيوخه مائتان وثمانون ونيف، وحدّث عنه جماعة، منهم البخاري، ومسلم، وأبو داوود، والنسائي، والترمزي، وابن ماجة، وعلي بن المديني، وأبو زرعة الدمشقي، وغيرهم. الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، جـ١١، ص١٧٨ـ ١٩٣.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣ ص٢٣٤، ص٢٣٦. ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، جـ١٨، ص٧٣.

(٤) الأكراد: هم قوم أشداء غالبهم أهل بادية وخشونة، يقيمون في الخيام، واختلف المؤرخون في أصلهم، فمنهم من ذكر أنهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ومنهم من ذكر أنهم من قبائل العجم، وهم أقل قبولًا للحضارة من الترك، ومقامهم في الغالب في كردستان وأرمينيا وأعالي العراق كالموصل وديار بكر، وعاشوا في الشام منذ القدم في شكل جماعات وأقوام رحل، كما أن بعضهم سكن المدن لا سيما في الجهات الشمالية من الشام. العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٩. محمود محمد الحويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، ص٢٨.

ـ أهم المدن الموجودة ببلاد جِيلان:

وتشتمل جِيلان على عدة بلدان صغيرة، هي أشبه بالمقاطعات، ولكن ليست كلها مثل بعضها من حيث الأهمية؛ بل إن هناك أربع مدن منها كبيرة لها أهمية: وهي:

(١) **ـ بومن:** وهي إحدى مدن جِيلان، وموقعها قريب من الجبل إلى وسطه، وأميرها شافعي المذهب، يختلف عن غيره من بلاد جِيلان فأغلبهم حنابلة، وعسكره يزيد على الألف فارس، ويضم أميرها حكم مدينة لاهيجان بجوار بومن، ورغم صغر حجمهما؛ إلا أن غالب دخلهما من الحرير، وعمل التجارة، ولهذا بينهما وبين المغول ثمة علاقات طيبة؛ وذلك لحاجة المغول إلى الحرير منهما عبر التجّار، وكذلك بقية بلاد جِيلان في حاجة إلى بومن، ولاهيجان للسبب نفسه، إلا أن حاجتهم إلى بومن أكثر؛ لوجود الأقمشة والمشغولات بها، كما يوجد بها معادن الحديد الذي يستخرج من ناحية الجبل، وأمير هذه البلدة يدّعي لنفسه النسب الشريف، ويتميز عن غيره من حكام جِيلان باهتمامه بأهل العلم والفضل[٢].

(٢) **ـ تولوم (وكانت تسمى توليم قديمًا):** وتأتي مدينة تولوم بعد مدينة بومن من حيث الأهمية في المدن الجِيلانية، وتقع بالقرب منها، غير أنها لا تمتاز بالحرير مثلها، وأميرها حنبلي المذهب، وعدد الجيش بها ـ أيضًا ـ

=

(١) بيبرس الدَّوَادَار (ركن الدين بيبرس المنصوري ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق/ دونالد س رينشَاردز، مؤسسة حسين درغام، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٨٦. النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، جـ٢٧، ص٢٨١. العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٣٣.

(٢) العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤١.

نحو ألف فارس، ويمتازون عن غيرهم في بلاد جِيلان بأنهم أكثر جرأة وشجاعة وقوة، وتولوم هي المدينة التي قُتل القائد المغولي قطلوشاه[١] فيها، وذلك أثناء قيادته للحروب التي نشبت بينها وبين المغول الإيلخانيين، والتي كانت لأجل سيطرة المغول عليها، فثبات أهل تولوم وثقتهم، وشجاعتهم أدت إلى هزيمة الجيش المغولي في أكثر من معركة، الأمر الذي هدأ من روع جيرانهم الجِيلانيين، وثبّت قلوبهم، وجرأهم على لقاء الجيوش المغولية دون خوف ولا تردد[٢].

(٣) ــ **كَسْكَر**: وهي ـ أيضًا ـ من المدن الجِيلانية المهمة، ويكثر الأكراد بها، وكان لحاكمها جولات حربية مع حكام تولوم، وتمتاز تلك المدينة بكثرة عدد جيشها عن بقية بلدان جِيلان، كما تمتاز عن غيرها بسعتها، وخصوبة

(١) يرد اسم هذا القائد في بعض المصادر باسم (قطلوشاه)، اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص١١٦٦، ١١٦٧. بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٨٦. النويري: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٨١. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ص٧٢. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٣، ص٢٥٤. وغيرهم. ويرد باسم (قتلغشاه) في بعضها الأخر، حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٩. خواندمير (غياث الدين محمد بن همام الدين محمد الحسيني ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م): حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تصحيح: محمد دبير سياقي، از انتشارات كتابفروشي خيام، تهران، در هزار نسخة سال، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، جلد سوم، ص١٩٣. كما يرد باسم (خطلوشاه) في مصادر أخرى، اليافعي (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي ت٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ٤، ص١٧٦. الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق/ أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ٤، ص١٤.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٤٥.

أرضها، ووجود الكثير من الفواكه والحبوب بها، والأغنام والأبقار، كما أن أسعارها أرخى وأرخص عما سواها[١].

(٤) ـ **رسفت:** وهي إحدى المدن الجِيلانية المهمة، وهي قريبة من الجبل، بعيدة عن البحر، لا تختلف عن غيرها من أخواتها ومناسبة في كثير من أمورها، وعلى الرغم من بُعدها عن البحر؛ إلا أن أهلها صيادون، فهي كثيرة السمك، كما أنها كثيرة الطير[٢].

هذه هي المدن الأربع الكبار التي لها أهمية واضحة في بلاد جِيلان، وتأتي بعدها عدة مدن أخرى أقل أهمية من سابقتها، من حيث صغر حجمها، وقلة جندها، وهي المدن الآتية:

(٥) ـ **شروان:** وهي إحدى مدن جِيلان، وتقع نواحي باب الأبواب الذي يُسمى بالدربند[٣]، بناها أنوشروان فسميت باسمه ثم خُففت بإسقاط شطر اسمه، ويذكر البعض أنها بالقرب من صخرة موسى ـ عليه السلام ـ التي نسي

---

(١) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٤٩.

(٢) العمري: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٣.

(٣) الدربند، أو السد: وهو باب الأبواب، أو باب الحديد، ويعرف بَدرْبَند خَزْران، وتسميه الترك "دمرقبو"، على بحر الخزر، وهو كالحد بين المغول القفجاق، ومغول فارس، ثم عُرف هذا المسمى باسم "بُليدة"، وهو عبارة عن باب عظيم من الحديد مغلق بين المملكتين، حتى إن ياقوت الحموي أطلق عليه "باب الأبواب" ، وذكر أن أمر حراسته كان القائم به أمير كبير، بالإضافة إلى سور خشبي على النهر، وفي العصور الحديثة هي مدينة تابعة لجمهورية داغستان التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي، الواقعة إلى الشمال من جمهورية أذربيجان، وإلى الشرق من جمهورية جورجيا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٤٤٩. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف باسم: "تاريخ ابن خلدون"، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، جـ٥، ص٦٠٢. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٢٣.

عندها الحوت في قوله تعالى: "قال أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ..."[١]، قالوا: فالصخرة صخرة شروان، والبحر بحر جِيلان، والقرية باجروان، حتى لقيه غلام فقتله، قالوا في قرية جيزان، وقد خرج من هذه المدينة جماعة من العلماء، كما نُسب إليها عدد من الرواة، أشهرهم: أبو بكر محمد بن عشير بن معروف الشرواني[٢].

(٦) - **كَوْتم**: وهي بليدة من نواحي جِيلان، ينسب إليها هبة الله بن أبي المحاسن بن أبي بكر الجِيلاني أبو الحسن أحد الزهاد العباد المدققين النظر في الورع والاجتهاد، قدم بغداد وله اثنتا عشرة سنة في سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، وتوفي سنة (٥٨٣هـ١١٨٧م)[٣].

هذا بالإضافة إلى عدة مدن أخرى صغيرة توجد بجِيلان، كمدينة **بُشتِيْر**، وينسب إليها الشيخ الزاهد الصالح عبد القادر بن أبي صالح الحنبلي البشتيري[٤]، ومدينة **شَيْلمان**: وهي وراء طبرستان، خرج منها طائفة من أهل العلم والأدب، ومدينة **كِشْت**، ومدينة **كيلاهجان**، ومدينة **لاهيجان**: ويجلب منها الإبريسم اللاهجي، ومدينة **تالَشان**[٥].

(١) سورة الكهف، من الآية (٦٣).

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٣٩.

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٨٧.

(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ١، ص٤٢٦.

(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٢، ص٧. جـ٣ ص٣٨٦، ص٤٦٢، جـ٤ ص٤٩٨، جـ٥، ص٩.

المبحث الثاني: العلاقات المغولية الجِيلانية قبل غزوها

ـ العلاقات المغولية الجِيلانية:

من خلال استقراء الأحداث التاريخية للغزو المغولي للبلدان؛ تبيّن أن بلاد جِيلان ظلت منعزلة عن المغول أثناء سيطرتهم على بلاد العراق وفارس، فلم تكن على علاقة بإيلخاناتها[١] ولم تدن بالولاء لهم، وعن ذلك يقول ابن فضل الله العمري: "**ولا يُخَطب بها للتتار**"، غير أن ملوكها كانوا يضربون السكة باسم ملوك المغول، والعلة من ذلك؛ أنها لو ضُربت باسم أحد ملوكهم لم تخرج دراهمه إلى بلد جاره الآخر؛ لما بينهم من حقد وجفاء، ونزاع وشجار[٢].

وهكذا ظلت بلاد جِيلان مدة طولية آمنة من نهب المغول وقادتهم، وذلك في الوقت الذي مسح فيه المغول تلك البلاد وما جاورها من بلدان، غزوًا ونهبًا وسلبًا، وقتلًا وسيطرة، سواء أكان من قبل مغول الخانات العظام فترة الخانية العظمى أثناء حكم جنكيز خان (٦٠٣ـ ٦٢٤هـ/ ١٢٠٦ـ ١٢٢٧م) وخلفائه، أم كانوا من قادة الدولة الإيلخانية (مغول فارس فرع تولوي[٣])، فلم تمتد إليها

---

(١) والإيلخان: هو لقب لكل حاكم مغولي حكم العراق وفارس، ويتكون هذا اللفظ من مقطعين (إيل)، ومعناه التابع أو الخاضع، و(خان) أي المقصود بها الخان الأعظم، أو الخانية العظمى، وأطلق هذا اللقب على هولاكو وخلفائه من بعده؛ نظرًا لتبعية دولته من الناحية الرسمية لدولة خانات المغول العظام ببلاد الصين. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٢١٩.

(٢) مسالك الأبصار، جـ٣ ص٢٣٦.

(٣) تولوي خان: هو الابن الرابع لجنكيز خان، وأصغر أبنائه الأربعة، وأمه هي بورته فوچين (زوجة جنكيز خان المفضلة)، وكان يلقب بـ(يكه نويان)، و بـ(ألغ نويان)، يعني (الأمير الكبير)، وقد اشتهر بهذا اللقب الأخير، وكان جنكيز خان يدعوه بـ(نوكار)، أي (الخادم)، أو (الرفيق)، توفي سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٢٣م). الهمذاني (رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م): جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن =

أيديهم، ولم يتمكنوا من السيطرة عليها، ويرجع ذلك ـ كما ذكرت آنفًا ـ لصعوبة طبيعتها الجغرافية، ووجود المعابر الصعبة التي تؤدي إليها، هذا فضلًا عن وجود المروج والغابات الكثيفة حولها(١)، بالإضافة إلى أن حكام تلك المملكة كانوا يعتزون بأنفسهم، ويظنون أنهم لا حاجة لهم عند إيلخانات فارس، وأنهم في غنى عنهم(٢).

ولما توجه هولاكو خان إلى البلدان الغربية سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) لغزوها والسيطرة عليها بأمر أخيه الخان الأعظم منكو خان (٦٤٩ـ ٦٥٨هـ/ ١٢٥١ـ

=

إلى تيمور قاآن)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص١٦٠. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، جـ٤، ص٤٢١.

(٣) جورج لاين: عصر المغول، ترجمة: تغريد غضبان، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "مشروع كلمة"، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م، ص٧١.

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠هـ/ ٨٢٠هـ ـ ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٤٧٨. تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علّوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣١٢.

(٢) حافظ أبرو (لطف الله بن عبد الله الهروي ت٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م): ذيل جامع التواريخ رشيدي لحافظ آبرو، ترجمة: محمد عبد الله عبد السلام، في رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية وآدابها، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، ص١٥، ١٦.

١٢٥٩م) [١]؛ فكَّر في أن يؤمن طريق جشيه ومسالكه، وتوفير الحماية له؛ حتى يتسنى له العبور الآمن، وعمل بنصيحة أخيه الخان الأعظم منكو خان، والتي قال فيها: "**فتوجه إلى العراق وأزل من طريقك اللور[٢] والأكراد، الذين يقطعون الطرق على سالكيها ..**"[٣].

وهكذا وضَح أن مسألة القضاء على تلك الجماعات والسيطرة على بلادهم كانت من جملة الواجبات التي كان لزامًا على الإيلخان هولاكو القيام بها، عندما طلب منه أخوه قيادة حملته إلى البلاد الغربية من إيران والعراق، ويبدو أن الخان الأعظم رأى أن هؤلاء الجماعات أعداء حقيقيون، ينشرون الرعب والخوف على الطرق، ويقطعونها بأعمالهم العدوانية، من سلب ونهب إلى آخره[٤]، وأن القضاء

(١) منكو خان: هو الابن الأكبر لتولوي خان، وأمه (سرقويتي بيكي خاتون)، وقد تولى عرش الخانية العظمى بعد ابن عمه كيوك خان بن أوكتاي، وذلك خلال المدة ما بين عامي (٦٤٩ـ ٦٥٨هـ/١٢٥١ـ ١٢٥٩م). الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ص١٦١.

(٢) اللُّور: أو اللُّرّ وهم جيل من الأكراد يسكن في الجبال، بين أصفهان وخوزستان، تعرف بهم هذه الناحية أو تلك المنطقة، ويقال لها كردستان. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، جـ٣، ص١٢٠٢، ١٢١١.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، (الإيلخانيون، تاريخ هولاكو)، ترجمة: محمد صادق نشأت، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع. ص٢٣٧.

(٤) ويتضح خطر هذه الطائفة في الرسالة التي أرسلها رشيد الدين الهمذاني (الوزير الإيلخاني)، ينصح فيها أحد الحكام بقوله: "**ولا تعتمد على الأكراد بأي صورة؛ فهم كبوم الشؤم يقظون في الليل، وعمى في النهار**..". مكاتبات رشيدي، لرشيد الدين فضل الله الهمذاني، وقد تم ترجمته في رسالة ماجستير: للباحثة: ثريا محمد محمد، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص١١٤.

عليهم أمر من الأهمية بمكان، وأن السيطرة على أماكن وجودهم، وضمها إلى حوزة المغول ضرورة لا بد منها[١].

وبالفعل شرع الإيلخان هولاكو في تنظيف تلك الأماكن وتأديب أهلها من الأكراد، والتركمان[٢]، وغيرهم، وذلك عن طريق قائده كتبغا[٣] الذي أرسله إلى تلك البلاد، والتي يعتصم أهلها بالجبال، واستطاع تأديبها والحد من خطورتها[٤]،

(١) محمد سهيل طقوش: تاريخ الأكراد (٦٣٧ــ ٢٠١٥م)، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م، ص٥٧.

(٢) التركمان: وهم طوائف من الأتراك يسكنون في الجبال والصحاري، وهم كالأعراب في الجزيرة العربية. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق/ محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، جـ٤، ص٢٨٧.

(٣) كتبغا: مقدم عسكر المغول، كان أميرًا مغوليًا، يعتمد المغول على رأيه وشجاعته، وكان مقدامًا خبيرًا بالحروب وافتتاح الحصون، وقد غزا معظم بلاد العجم والعراق، وكان يحظى بثقة عظيمة عند هولاكو، وقتل كتبغا في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م). ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، جـ٧، ص٨٣.

(٤) ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م): صدق الأخبار، المعروف بـ "تاريخ ابن سباط "، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م، جـ١، ص٣٦٨. وسبق أن أرسل المغول طائفة من عسكرهم للقضاء على هذه الجماعات المشاغبة قبل هذا التاريخ، وذلك سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)، وأوقعوا بعدد غير قليل من الأكراد وغيرهم، فقتلوا وأسروا ونهبوا. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق/ مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٠١، ٢٠٢.

وكان ذلك في سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) بعد أن خاض حربًا شرسه لقتال الإسماعيلية[١] ومن ثم نجح في القضاء عليها[٢].

وعلى الرغم من نجاح هولاكو وقادته في مهمتهم؛ إلا أنه عندما قصد بلاد جِيلان لم يستطع أن ينال منها، ولا أن يسيطر عليها، فظلت آمنة مدة كبيرة إلى أن جاء عهد السلطان محمد خدابنده[٣] واستطاع غزوهم[٤].

---

(١) الإسماعيلية: هي فرقة من الفرق الشيعية، تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين، ويطلق عليها عدة ألقاب: كالباطنية، والسبعية؛ لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة، وهم ينقسمون أقسامًا عدة، وقد اتصل تاريخهم بأعمال الاغتيالات السياسية بالشام في عهد صلاح الدين الأيوبي، والصليبيين، والتتار. القلقشندي: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، جـ١٣، ص٢٣٥، ٢٣٦. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق/ أمير علي مهنا، على حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، جـ١، ص٢٢٦. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٠. نخبة من العلماء: موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٨٣.

(٢) ابن العميد (أبو المكارم مكين جرجس ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م): أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، لم تذكر سنة الطبع، ص٤٣. محمود محمد الحويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص٢٩.

(٣) خُدابَنده: هو ابن أرغون بن أباقا، ويسمى خرابنده، وأولجايتو، وخدابنده، والأخير معناه بالفارسية (عبد الله)؛ لأن (خُدا) اسم الله عز وجل (وبَنده) غلام أو عبد، ولمَّا أسلم تَسَمَّى بـ(محمد)، فأصبح السلطان محمد خدابنده، وتوفي سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م). ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت٧٧٩هـ/ ١٩٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، جـ١، ص١٧٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٥٥، ٢٣٨.

(٤) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٢٣٤.

ـ جِيلان إبّان عهد السلطان محمد خدابنده:

بدأ السلطان محمد خدابنده عهده بالقضاء على كل مناوئ له في حكمه وسلطانه، وكان قد أنشأ عاصمته السلطانية(١)، وأنجز ست طرق رئيسة تؤدي إليها، وتربط العاصمة بمناطق متفرقة، وبصفة عامة أراد فتح الطرق المهمة في دولته، وكان مما أراد فتحه طريق بلاد جِيلان(٢).

وكان أن فكّر السلطان في قيادة جيش مغولي إلى بلاد الشام بوصية من أخيه غازان خان(٣) قبل وفاته، لكنه أدرك أنه ليس من المنطقي غزو الشام ومصر دون أن يُؤَمّن ظهره؛ وذلك بالقضاء على هذه الجماعات التي لا تخضع له، وهم العصاة الجيلانيين(٤)، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يجرد الجيش

(١) السلطانية: نسبة إلى السلطان محمد خدابنده الذي بناها بالقرب من جباب جيلان، وكان اسمها، "قُنْغُرْلان". ويذكر في سبب بنائها: أن السلطان كان جالسًا ذات يوم بحضور أمراء الدولة وأركانها، فقال لهم: "**كنت حاضرًا ذات يوم في معية والدي الملك أرغون، وكان قد جال بخاطره الدعوة لعمارة سلطانية**"، وأضاف قائلا: "**ما دمت ملك العالم؛ أريد أن أبني المدينة التي طالما أرادها ملك البلاد**"، فاقترحت الجماعة الحاضرة ما يقرب من ثلاثين موقعًا، وذكروا مزايا كل واحد منها وعيوبه، وانتهى الأمر بهم إلى اختيار الموقع الذي توجد به السلطانية، وهي الآن مدينة إيرانية تقع في محافظة زنجان. القلقشندي: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، جـ٤، ص٣٥٨. حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٢.

(٢) جورج لاين: عصر المغول، ص١٠٣.

(٣) غازان خان: هو غازان خان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو، السلطان الكبير، كان من أجلّ ملوك هذا البيت، دخل الدين الإسلامي، وبإسلامه أسلم كثير من المغول، وكان يتصف بالعدل، وقد جلس على العرش الإيلخاني (سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)، وظل حاكمًا للمغول الإيلخانيين إلى أن توفى بقزوين سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م). الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، جـ٤، ص٥ـ ١٨.

(٤) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٣.

دون إخضاع هذه الجماعات، وعلى الفور استدعى الأمراء، وطرحوا هذا الموضوع فيما بينهم، ورأوا أنه من الصالح أن يرسلوا في البداية رسولًا إلى حكام مناطق جِيلان، وأن يدعوهم إلى طاعته، فلو انقادوا؛ فهو المطلوب، ولو تمردوا على الأمر؛ حينها يجردون الجيوش إليهم(١).

ـ المراسلات بين السلطان محمد وبين الجِيلانيين:

قام السلطان محمد خدابنده بإرسال الرسل إلى الأمراء والحكام الجِيلانيين، يدعوهم لطاعته وفتح الطرق إلى بلادهم، فاستجابوا في أول أمرهم للدعوة التي أُرسلت إليهم، وبالفعل قدموا إلى المعسكر الإيلخاني ومعهم هدايا قيّمة للسلطان محمد ودخلوا في طاعته، فقابل السلطان ذلك بغاية الإكرام، والاحترام، واطمأن إلى جانبهم، غير أنهم سرعان ما أدركوا أهمية وحجم ثروة بلادهم التي فاقت الحد والصيت، وفي الوقت نفسه رأوا طمع أمراء المغول في ثراء ولايتهم، وشهرة منتجاتها خاصة منتج الحرير، لذا فقد بدأوا تدريجيًا في التمرد، وفكّروا في الدفاع عن أملاكهم الموروثة وعن أموالهم وجاههم(٢).

وكان ممن استجاب لدعوة السلطان ـ أيضًا ـ الأميرة دُبَّاج، وعلى الرغم من أنها كانت تحيا حياة رغدة أكثر من الأمراء الآخرين، ولها استقلالية عن غيرها من الأمراء؛ إلا أنها بمجرد وصول الرسول إليها ليستدعيها؛ قدمت إلى معسكر السلطان، تلبية وتنفيذًا للأمر، وعندما وصلت إلى الأوردو(٣) (المعسكر)؛

---

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٦. خواندمير: المصدر السابق، جلد سوم، ص١٩٣.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٧، ص٤٩٩. حافظ آبرو: المصدر السابق، ص١٦. عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٧٨.

(٣) الأوردو: أو "الأولوس"، وكان هذا اللفظ يطلق على المعسكر الكبير، الذي يكون فيه السلطان، أو نائبه، وكان يطلق عليه مقترنًا بقائده، وهي مرتبة عسكرية استخدمت في =

قُدّم لها الإعزاز والإكرام، وقدمت الأميرة الهدية التي كانت قد أحضرتها للسلطان، إلا أن الأميرة قد وقعت في خطأ، وهو أنها تجاهلت الأمراء المغول الموجودين في المعسكر، إذ كان من الواجب عليها أن تقدم لهم بعض الهدايا دلالة على خضوعها وتقديمها فروض الولاء والطاعة(١).

والحقيقة أن الأميرة ضاقت زرعًا من ذلك، ونظرت في وضع الجيش وأمور الملك، وندمت لمجيئها فتمارضت، وبعد عدة أيام تخلّفت عن الملازمة والخدمة، وفجأة تسلّلت ليلًا، وتوجهت إلى مملكتها، ومن الممكن أن يكون ندمها لما رأته من طمع الأمراء وعدم تقدير مجيئها وغيره، ففكرت في أن تخرج من هذا المأزق، ولمَّا ذكروا هذا الأمر للسلطان محمد خدابنده استشاط غضبًا(٢).

ومما لا شك فيه أن ما فعلته الأميرة دوباج أثار حفيظة السلطان محمد، وشككه في ولائها، فصمم في قرارة نفسه على أن يُخضع الجِيلانيين، وأن يسلك طريق الحكمة والتعقل أولًا، فأوفد إليهم بعض السفراء والرسل مرة أخرى، وطلب منهم هذه المرة الطاعة والخضوع الكامل، وفي الوقت نفسه أمرهم ـ كالعادة ـ بفتح الطرق إلى بلادهم؛ لأنهم كثيرًا ما تعمدوا سدّها، ووضع العراقيل فيها؛ وذلك

=

العصرين الأيوبي والمملوكي، على الأمير الذي يقود عشرة آلاف جندي. الرمزي (محمد بن محمد توفي بعد سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م): تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، جـ١، ص٣٦٤، حاشية (٤). مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٤٠.

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٦. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٣، ١٩٤.

(٢) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص١٦.

لعلمهم جيدًا أن فتحها فيه مضرة عليهم، وكانوا قد سئلوا هذا الطلب مرارًا وتكرارًا من قبل إيلخانات فارس(١).

انتظر السلطان منهم رد الفعل الطيب، وذلك بفتح طرقهم، وخضوعهم وطاعتهم، غير أنهم فعلوا ما أوجب غضبه؛ فقد امتنعوا كعادتهم في كل مرة، فأرسل إليهم متهمًا إياهم بأنكم إنما أنتم فئة باغية، فردوا ونفوا ذلك عن أنفسهم وأنهم ليسوا بغاة؛ وعلّلوا عن عدم فتح طرقهم بكونهم مستقلين، ولا يحتاجون لأحد، فأصرّ السلطان على فتح الطرق، غير أن هذا الإصرار لم يزدهم إلا عنادًا وامتناعًا، الأمر الذي جعل السلطان لا يتأخر لحظة واحدة في ما عزم عليه(٢).

فكّر السلطان في المكاسب التي ستعود عليه وعلى دولته إذا ما قام بغزوها، وأيقن أنه لو سخر قوته للاستيلاء على تلك الممالك؛ لأغنت خزائن الدولة كثيرًا، وفي الوقت نفسه بفتح طرقهم يقترب الطريق إلى خراسان، وهكذا استقر سبب إخضاع مناطق جِيلان في ضمير السلطان محمد خدابنده(٣).

وهكذا تجمعت لدى السلطان محمد خدابنده أسباب عدة، دفعته لغزو جِيلان والسيطرة عليها، ويمكن حصر تلك الأسباب في النقاط الآتية:

(١) ـ أراد السلطان غزوها لأجل فتح الطريق، وأمنها، وهذا ـ كما سبق ـ كانت من جملة اهتماماته فور تولية الحكم الإيلخاني، خاصة بعد أن بنى مدينته السلطانية.

---

(١) اليونيني (قطب الدين موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، تحقيق/ حمزة أحمد عباس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، جـ٢، ص١١٦٦. حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٦. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٢.

(٢) اليونيني: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٦٦. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ص٧٢.

(٣) حافظ آبر: المصدر السابق، ص١٨.

(٢) ـ الرغبة المغولية في السيطرة عليها وإخضاعها، وهذه سياسة المغول التوسيعية، وغرضهم منذ خروجهم من هضبتهم (منغوليا[١])، كما أن القضاء على المجموعات التي تسكن وتعتصم بالجبال كانت تشغل بال إيلخنات فارس، وتنفيذًا لوصية الخان الأكبر منكو خان لحكام هذه الدولة (فرع تولوي خان).

(٣) ـ سياسة تأمين الظهر التي أرادها السلطان محمد، فلن يتسنى للمغول الإيلخانيين قيامهم بحملات عسكرية تجاه مصر وبلاد الشام، قبل أن يسيطروا على مثل هذه البلاد، وهذا ما ذكره السلطان نفسه ـ كما سبق ـ "**إن جمعًا على باب دارنا لا يخضعون لحكمنا؛ فلا يكون مناسبًا لنا تجريد الجيش إلى مملكة أخرى**".

(٤) ـ أيقن السلطان محمد أن غزو بلاد جِيلان سيكون له فائدة مادية كبيرة على خزينة الدولة الإيلخانية، لا سيما وأنها تمتاز بخيرات وفيرة وإنتاج جيد، لبعض المصنوعات خاصة الحرير.

(٥) ـ أخيرًا، التحريض المستمر الذي لقيه السلطان محمد لأجل غزوها، ففي سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م) دخل عليه أحد أبناء الأمير أرغون الحاكم المغولي الشهير، إلى بلاط السلطان محمد خدابنده لإبلاغه نبأ وفاة الخان المغولي في الدولة الجغتائية[٢]، وتحدث مع السلطان محمد متسائلًا، كيف عجز

---

(١) منغوليا: تقع شمال سور الصين، وفي العصور الحديثة تقع غرب منشوريا الممتدة إلى الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي السابق. جيز. هـ. ويبلد، وآخرون: جغرافية العالم الإقليمية آسيا أفريقيا أمريكا، ترجمة: محمد حامد الطائي، وآخرين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، جـ٢، ص١٤٨، ١٤٩. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٢٧.

(٢) الدولة الجغتائية: هم مغول ما وراء النهر، وقد سميت بذلك نسبة إلى مؤسسها وهو جغتاي خان، وهو الابن الثاني لجنكيز خان، وأمه (بورته فوچين). الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ص١٣٥.

إيلخانات إيران ـ على الرغم من كل فتوحاتهم ـ عن غزو ولاية صغيرة مجاورة لمقرّهم كجيلان، وعن السيطرة على الأمراء المحليين الذين لم يدخلوا في طاعة المغول؟ فتأثر السلطان محمد بذلك، وصمّم على غزوها وانتزاعها من أيدي الأمراء المحليين وينال هذا الشرف الذي لم ينله أي من إيلخانات المغول السابقين(١).

ولم يتوقف الأمر على تحريض الأمير أرغون فقط، بل قام حاكم مازندران هو الآخر سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) بالوشاية عند السلطان محمد بأهل جِيلان، وهم جيرانه، وتكلم فيهم أمامه، وطلب منه أن يجعل عندهم نائب أو شحنة(٢) أسوة بباقي البلدان التي خضعت للحكم المغولي، وهذا ما لم يصغوا إليه ولم يوافقوا عليه، فزادت هذه الوشاية من عزم السلطان على إرسال جيش لغروهم(٣).

وربما يكون سبب وشاية حاكم مازندران بأهل جِيلان عند السلطان محمد يرجع إلى العداء الذي كان قائمًا بينه وبين الجِيلانيين، فاستغل فرصة غضب السلطان عليهم بسبب رفضهم فتح الطريق إليهم، ورغبة السلطان في السيطرة عليها، فوشي بهم عنده.

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٢.

(٢) الشِّحْنة: هو لفظ عربي؛ مأخوذ من الفعل شَحَنَ، وشحنتُ السفينة؛ يعني ملأتها، فهي مشحونة، وبالبلد شِحْنَة من الخيل أي رابطة، ويُطلق على المجموعة التي فيهم الكفاية، ويخصصها السلطان لضبط البلد من أي شيء يهدد أمنه، وهي وظيفة تعني رئيس الشرطة، ويسمى متوليها "صاحب الشحنة". الفراهيدي: كتاب العين، جـ٢، ص٣١٢، مادة (شحن). ابن منظور: لسان العرب، جـ٢٥، ص٢٢٠٩، مادة (شحن).

(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص١١٣١.

المبحث الثالث: غزو جِيلان وخطة السيطرة عليها سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) [١]

استقر في ذهن السلطان محمد خدابنده أن القضاء على جِيلان أمر لا بد منه، فبدأ بجمع ما أمكن جمعه من معلومات خاصة بجِيلان، فتيسر له ذلك عن طريق أمير من أمرائه يسمى (كراي) وكان حاكمًا لتارم، وأستارا[٢]، وقد سبق لهذا الأمير أن ذهب مع الأمير صدر الدين الخالدي[٣] قبل ذلك إلى جِيلان،

(١) تباينت المصادر في ذكر التاريخ الذي تم فيه غزو جِيلان، فمنها من يؤرخ لحدوثها بتاريخ (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) منهم حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٨ــ ٢٩. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٣. ومنهم من يذكر أنها كانت سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) وهم والنويري: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٨١. العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٧، ص٤٩٩. وابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ٧٢، ٧٣. ولا خلاف بين ما ذكرته المصادر العربية والفارسية، خاصة وأن العامين متوالين، ومن الممكن أن يكون غزوها في آخر سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، وتم الانتهاء من ذلك في العام التالي وهو (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م).

(٢) أستارا: هي إحدى المدن الجيلانية، وهي الآن اسم لميناء كبير، ومركز تجاري مهم يقع غرب قزوين، شمال نهر كاركانه، على الحدود بين إيران وروسيا. دهخلدا (علي أكبر دهخلدا): لغت نامة، مؤسسة انتشارات وجاب دانكشاه، طهران، جاب دوم، ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، جلد أول، ص١٣٤.

(٣) صدر الدين الخالدي: هو ابن لأحد قضاة ولاية زنجان، التحق بالبلاط الإيلخاني؛ وعُيّن مسئولًا عن تنظيم الأموال في عهد أرغون خان، وفي عهد كيخاتو وزيرًا يدبر أمور السلطنة، وشئون الديوان، ثم أصبح صاحب الديوان، ولُقب بـ(صدر الدنيا)، وبعد وفاة كيخاتو انضم إلى السلطان غازان أثناء صراعة مع الإيلخان بايدو خان على العرش الإيلخاني، فنال حظوة في دولة السلطان غازان، غير أنه وشي به أمن قبل الحاسدين مرارًا وتكرارًا، الأمر الذي جعل السلطان غازان يأمر بمصادرة أمواله ونياشينه، ومن ثم سجنه، وتوفي سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م). خواندمير (غياث الدين محمد بن همام الدين =

واستطاع الأمير الحصيف من خلال زيارته لها أن يجمع بعض المعلومات عنها وعن أوضاعها، فقدّم للسلطان تقريرًا وافيًا، وذكر أنها تتكون من اثنتي عشرة مدينة، في كل واحدة منها أمير مستقل، ومعه جيش كبير تحت إمرته(١).

لم يكتف الأمير (كراي) بتزويد السلطان بالمعلومات الكافية عن جِيلان؛ بل كان يحكي له كل يوم بعض الحكايات عنها، وعن خيراتها، ومحاسنها، ويزيّنها في خاطره، حتى مال السلطان لغزوها، ورغب في تجريد الجيش إليها(٢).

عزم السلطان محمد على أن يخرج بنفسه لغزوها، إلا أن أمراء الدولة وأركانها وكبار رجالها كرهوا هذا التصرف، ورفضوا تحرك الملك بنفسه إلى تلك البلاد، وكانوا يقولون: أي عبد من عبيد الدولة يكفي لأن يكلفوه بهذا الأمر؛ وينجز هذه المهمة تمامًا، إلا أن السلطان لم يصغ لكلامهم، ولم يتبع رأيهم، فأمر باستنفار الجيش(٣).

ولما تكامل اجتماع الجيش الغازي لجِيلان؛ أصدر السلطان أوامره أن يدخلوها من أربع طرق، فكلف الأمير جوبان(٤)، أن يدخل إلى حدود أستارا من

=

محمد ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م): دستور الوزراء، ترجمة: حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص٣٦٦- ٣٧١.

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٧، ١٨.

(٢) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص١٧، ١٨.

(٣) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص١٨.

(٤) الأمير جوبان: نائب السلطان أبي سعيد، بعد ما تمكَّن من السيطرة على أمور المملكة؛ أطاح بعدد كبير من أمراء المغول، وكان صحيح الإسلام كثير النصح للمسلمين، وقد أجرى الماء إلى مكة، حتى أصبح لا يباع بها، وأنشأ مدرسة بالمدينة المنورة مجاورة للحرم الشريف. العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١، ص٥٤١.

طريق أردبيل[١]، واسبهبد[٢] وكَسْكَر وتلك النواحي، وأن يتوجه الأمير قطلوشاه إلى تولوم ورشت[٣] من طريق خلْخَال[٤]، وأن يدخل الأمير طوغان والأمير مؤمن من طريق قَزْوِين[٥] والري، وصحراء كلار[١]، ويتوجه الملك بنفسه على رأس الفرقة الرابعة إلى لاهيجان[٢].

(١) أَرْدَبِيْل: مدينة سهلية جبيلة قريبة من بحر قزوين، بها عدة أنهار، وعلى الرغم من ذلك؛ إلا أنها قليلة الشجر، فغرسها لا يفلح، وهي صحيحة الهواء عذبة الماء، غزاها المغول أكثر من مرة، وفي المرة الأخيرة دخلوها عنوة، وقتلوا كثيرًا من المسلمين بها، ولم ينج بها إلا من اختفى، وينتسب إليها كثير من أهل العلم في كل فن، منهم أحمد بن محمد الأردبيلي المعروف بـ(المقدس الأردبيلي). وهي الآن تبعد عن العاصمة طهران حوالى ٨٠٠كم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص١٤٥، ١٤٦. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) أَسْبَهْبُذ: وهو اسم يُخص به ملوك طبرستان، وأكثر ما يقولونه بالصاد (أَصْبَهْبُذ)، وهو ككسرى لملوك الفرس، وقيصر لملوك الروم، وقد سموا به كورة بطبرستان، ولعلها سميت ببعض ملوكهم. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص١٧٢.

(٣) رشت: هي مدينة إيرانية تقع ناحية الشمال، قريبة من بحر قزوين، وهي قاعدة مقاطعة جيلان، وتشتهر بصناعة الحرير والسجاد، خرج منها جماعة من العلماء، منهم: الشيخ حبيب الله رشتي ت١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٢٦٥.

(٤) خلْخَال: مدينة في طرف أذربيجان، مجاورة لبلاد جِيلان، في وسط الجبال، وأكثر قراهم ومزارعهم في جبال شاهقة، بينها وبين قزوين سبعة أيام وبين أردبيل يومان، وفي هذه الولاية قلاع حصينة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٨١.

(٥) قَزْوِين: وهي مدينة إيرانية مشهورة، تقع بالقرب من بحر قزوين، فتحها العرب الذين تجمعوا في مدينة الكوفة بعد بنائها سنة (١٧هـ/ ٦٣٧م). ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٤٢، ٣٤٣. عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٦٩.

وتجدر الإشارة ـ قبل ذكر الأربعة جيوش، ووجهاتها وما نتج عنها ـ إلى أن بعض المصادر[٣] تذكر أن السلطان محمد خدابنده أرسل لجيلان الجيوش أكثر من مرة، وأنه أرسل جيشًا في المرة الأولى تعداده ستين ألفًا، وافترق هذا الجيش إلى فرقتين؛ الأولى: قادها نائبه الأمير قطلوشاه ومعه أربعون ألفًا، والثانية قادها الأمير جوبان ومعه عشرون ألفًا، وأن الجيشين وصلا إلى بلاد جِيلان، وعسكر كل منهما في ناحية؛ فالأمير قطلوشاه نزل في مكان، والأمير جوبان وأصحابه في مكان آخر، ففتح الجِيلانيون سِكرًا[٤] من البحر في الليل فوصلوا إلى الجيش، ورموا ـ أيضًا ـ نارًا في أشجار وأحطاب فأُضرمت النار بالقرب منهم، وزاد الماء عليهم حتى كاد أن يغرقهم، وحاروا في أمرهم ليلًا،

=

(١) كَلار: مدينة في جبال طبرستان بينها وبين آمل ثلاث مراحل، وبينها وبين الري مرحلتان كانت في ثغورها. ياقوت ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٧٤.

(٢) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٨ــ ٢٢. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٢.

(٣) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٨٦. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص١١٦٦، ١١٦٧. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٢٧، ٢٨٢. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، جـ٢، ص٣٢١. ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبَنِيه، تحقيق/ محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، جـ١، ص٢٨٢. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٣، ص٢٥٤. ابن سباط: تاريخ ابن سباط، جـ٢، ص٥٩٥.

(٤) السِكْر: وهو السد الذي يسد به الشق في النهر أو البحر، أو يسد به منفجر الماء، والمقصود هنا أن الجيلانيين شقّوا وقطعوا قطعًا، أو فتحة انهال منها الماء. ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٣٧٢. مادة (سكر).

وأحاط الجِيلانيون بهم يصرخون عليهم، فقُتل أكثرهم، وقُتل بعضهم في اختلاط الليل وظلمته، وفي تلك الأثناء أصيب قطلوشاه بسهم فمات، وأما أصحاب الأمير جوبان فَسَلِم غالبهم، إلا أنهم رجعوا مخذولين مهزومين، فحزن السلطان حزنًا شديدًا على ما أصاب جيشه، إلا أنه في الوقت نفسه فرح [١] بمقتل الأمير قطلوشاه، ثم لم يلبث السلطان أن أمر بتجهيز جيش آخر، لمحو آثار تلك الهزيمة، وغزوهم والسيطرة عليهم.

والناظر إلى تلك الرواية يرى أن ظاهرها يشير إلى أن السلطان محمد خدابنده أرسل جيشين لغزو بلاد جِيلان، وكان إرسال الجيش الثاني عقب هزيمة الجيش الأول، وأن قطلوشاه قتل في الجولة الأولى لتلك الحرب، ونجا القائد الثاني الأمير جوبان، غير أن بعض المصادر الأخرى خاصة الفارسية تذكر أن غزو جِيلان كان عبر حملة عسكرية واحدة مكبرة، ومكونة من أربعة جيوش، وكان قطلوشاه قائدًا لإحدى الفرق العسكرية فيها، وقتل في معاركه التي خاضها في المناطق والأماكن التي تم تحديدها له.

وقد تبين أنه لا فرق بين الروايتين للأسباب الآتية:

- هناك توافق بينهما في أن القائد الأول قطلوشاه قُتل في معاركه مع الجِيلانيين، وأن الطريقة التي قُتل بها عن طريق سهم أصابه، وهُزمت فرقته في الأوحال والماء والغرق.

ـ من الممكن أن تكون الرواية قد سلطت الضوء على الفرقتين اللتين كانتا يقودهما الأمير قطلوشاه والأمير جوبان، وأن الكَرّة التي قام بها السلطان

(١) ويبدو أن فرح السلطان بمقتل نائبه الأمير قطلوشاه لا يخرج في تفسيره عن سلسة الصراعات السياسية على السلطة في الدولة الإيلخانية، والتي كانت سمة غالبة في ذلك العهد، وأن نفوذ الأمير قد زاد، فأوجس منه السلطان خيفة على عرشة وملكه، فلما قتل الأمير في تلك المعارك فرح السلطان بالخلاص من غريمه.

خدابنده والانتقام كان بواسطة باقي الفرق الأربع الأخرى، والتي انتهت بهزيمة الجيلانيين، والسيطرة على بلادهم.

ـ تنظيم الجيش المغولي الغازي لبلاد جِيلان:

أرسل السلطان محمد خدابنده الجيوش المغولية إلى جِيلان، بعد أن تم تقسيمها إلى أربع فرق رئيسة، كل فرقة ـ كما سبق ـ تم تحديد قادتها، ووجهتها، وهي كالآتي:

ـ الفرقة الأولى: بقيادة الأمير جوبان:

لما وصل الأمير جوبان إلى موضعه الذي حُدد له، وهو أَصْبَهبُذ، وأستارا، وتلك النواحي؛ أعدّ ركن الدين أحمد (حاكم تلك الناحية وزعيمها)، مراسم الاستقبال، والهدايا بقدر ما سمح به الوقت والجهد، وكان أسبق الأمراء الجِيلانيين في تقديم فروض الطاعة والانقياد، عندئذ أحسن الأمير جوبان إليه وقال له: " **الآن يجب أن تسير في مقدمة الجيش، وتكون مرشدًا له في الطريق الأسهل، وفيما يخص جِيلان فمن المقرر أن يُصدر لك مرسوم ملكي بتوليك تلك المناطق**"(١).

توجه الأمير جوبان بعد ذلك إلى منطقة كَسْكَر، وفي أثناء الطريق أشاع جيش المغول السلب والنهب في المناطق القريبة منها، وقتلوا كل من وجدوه(٢).

ومما يجب الإشارة إليه أنه وعلى الرغم من استسلام الأمير ركن الدين أحمد للأمير جوبان، وتقديمه فروض الولاء والطاعة، وبذل الأموال والهدايا؛ إلا أن هذا التصرف الهمجي من الجيش المغولي بإشاعته السلب والنهب والقتل؛ يمكن تفسيره بأنها طبيعة في الجند المغولي غلبت عليه، فتاريخه في غزواته

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٢. وينظر، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٣.

(٢) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٢، ٢٣. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤.

السابقة للبلدان من بلاد الصين إلى بلاد فارس لهو خير دليل على ذلك، وعلى الرغم من تحضره ودخول معظمه الإسلام؛ فعل ذلك الجيش المغولي ودون سابق إنذار للأهالي والسكان. وأخيرًا: ما فعله الجند المغولي خير دليل على صدق ما توقعه الأمراء الجيلانيون، وهو أن المغول طامعون في ثرواتهم، وخيرات بلادهم، فأفراد الجيش لم يستطيعوا ضبط النفس.

وعندما وصلوا إليها؛ تقدم أميرها الأمير شرف الدولة، وقدَّم خدمات جليلة إلى الأمير جوبان، فأنزله الأخير منزلته، وقدّم له واجبات الضيافة[١]، ووقعت في أيدي جيش المغول غنائم كثيرة من السلب والنهب، وعندما خضعت المناطق التي تم تحديدها للأمير جوبان بسهولة؛ اصطحب معه حكام تلك المناطق[٢].

ويبدو أن الأمير جوبان شك في إخلاص الجيلانيين ففكّر في أخذ القادة والأمراء وحكام تلك الولايات معه إلى الأوردو، أو إلى معسكر السلطان؛ كي لا

(١) والحقيقة أن الأمير جوبان تميز بحنكة سياسية وعسكرية عن غيره من الأمراء المغول، وذلك في تعامله مع الأمراء الجيلانيين، فقد تعامل مع الموقف بحكمة وحسن تدبير، وحاول بكل الطرق والوسائل أن يقلّل من الخسائر البشرية والمادية في لقائه مع الجيلانيين، ومن ثم تحقيق الانتصار والسيطرة عليهم، عكس ما فعله بعض الأمراء المغول في ساحات عسكرية أخرى مع أمراء جيلان، كالأمير قطلوشاه ـ كما سيأتي في الصفحات القادمة ـ وابنه الأمير سياوجي، في تعاملهم بالبطش والقهر والقوة، فضلًا عن انسياقه وراء رأي قادته، الأمر الذي أوقعهم في أخطاء فادحة. ولا شك أن هذه الصفات السياسية والعسكرية والقيادية في الأمير جوبان هي التي جعلته يحتل مكانة مرموقة في البلاط الإيلخاني، في ما تبقى من عهد السلطان محمد خدابنده، وعهد السلطان أبي سعيد.

(٢) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٢، ٢٣. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤.

يفكروا في أن يتجمعوا مرة ثانية، ويكوّنوا عسكرًا ومن ثَمَّ يعودون للمقاومة مرة أخرى، فأراد الأمير أن يضعهم تحت الملاحظة ليتأكد من ولائهم وإخلاصهم.

ثم توجه بهم إلى معسكر السلطان محمد خدابنده (مقر القيادة العامة للجيوش المغولية)، هذا في الوقت الذي لم يصل فيه السلطان بعد إلى منطقة لاهيجان، والتي كان قد حددها لنفسه مسرحًا لعملياته الحربية، فانضم الأمير جوبان بعد وصوله إلى السلطان ليعزز من القوات المغولية التابعة للسلطان(١).

ـ الفرقة الثانية: بقيادة الأمير قطلوشاه:

عندما وصل الأمير قطلوشاه إلى مدينة خلْخَال ـ وهي المناطق المكلف بغزوها ـ؛ أسرع شرف الدين الخلْخَالي حاكم تلك المناطق لخدمة المغول، فاستفسر منه الأمير قطلوشاه عن حقيقة الأوضاع في ممالك جِيلان، فسأل عن أدغالها، وغاباتها وجبالها، وفي نية الأمير قطلوشاه إخضاع تلك الممالك بالقهر والقوة والسرعة، إلا أن الأمير شرف الدين الخلْخَالي نصحه بألا يتعجل في أمر جِيلان، وبيّن له السبب في ذلك بأن طرقها صعبة، وأهل جِيلان لم يواجهوا قبل ذلك جيشًا غازيًا، وعظمة جيش المغول لم تستقر بعدُ في قلوبهم، فالسرعة والقوة لن تجدي في هذا الأمر، وينبغي التقدم بحذر وتأن وحسن تدبير. ولم يكن شرف الدين موافقًا لمزاج الأمير قطلوشاه(٢).

كان الأمير قطلوشاه مغترًا بقوته وشوكته؛ فلم يلتفت إلى نصائح الأمير شرف الدين الخلْخَالي، وكلّف أميرًا مغوليًا يسمى (فولاد قيا) أو (فولاد) بقيادة الجيش، وشرع جنود المغول في الزحف، ولم يتوقفوا في جبل أو غابة، ليلا أو نهارًا، ووقف جيش جِيلان مترصدًا عبر المضائق؛ كي يهاجموا ويحاربوا،

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٢، ٢٣. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤.

(٢) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٤. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٣.

ودارت بينهم ثلاث معارك طاحنة، أسفرت كلها عن انتصار جيش المغول. على أثر ذلك أرسل الجِيلانيون والأميرة دُباج وقادة تلك المناطق الآخرين أشخاصًا إلى الأمير فولاد لإعلان الطاعة، فمال الأمير فولاد للصلح، وأرسل إلى الأمير قطلوشاه يخبره بحقيقة الأمر، وأن القوم قد عرضوا الصلح، فرضي الأمير قطلوشاه بذلك ومال هو الآخر إليه، غير أن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن، حيث رفض ابنه الأمير سياوجي الصلح؛ يدفعه إلى ذلك قلة خبرته واندفاعه، متعللًا بأنه لا يمكن إحضار الجيش المغولي مرة أخرى إلى هذه الولاية، وما دام الجيش قد وصل؛ فلا بد من استئصال الجِيلانيين دفعة واحدة، وإخضاع كل جِيلان، وقال لأبيه: "**لو أننا سلمنا بما قاله فولاد وعقدنا الصلح مع الجِيلانيين؛ فلن يكون لنا ذكر أو كرامة**"(١).

وبالفعل قام الأمير قطلوشاه بعزل الأمير فولاد من منصبه؛ بسبب حديث وتحريض ابنه الأمير سياوجي، الذي كلَّفه بقيادة الجيش، فسلّ الأمير سيف الحقد، وعزم على حرب الجِيلانيين، وفي نيته ألا يبقي على أحد منهم، وأقدم على قتل أناس لا حصر لهم من أهل جِيلان، حتى وصل على مقربة من مدينة بومن، ولما يئس الجِيلانيون من الصلح؛ لم يجدوا بدًا إلا أن يدافعوا عن بلادهم، واتحدوا جميعًا وأصبحوا يدًا واحدة، وعسكروا بالقرب من تولوم ورشت، وكان أهل بومن ورشت وتولوم والهاربون الأخرون كلٌ قد اتخذوا مواقعهم في الأماكن التي تخضع لهم، واتجهوا لحرب الجيش الإيلخاني دفعة واحدة بقلوب مستميتة(٢).

وتصادف أن كان هناك وحلٌ كثير في الموضع الذي عسكر فيه الجيش المغولي بقيادة الأمير سياوجي، فانتظر الجيلانيون حتى تعمقوا في بلادهم، ثم

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٤. وينظر، خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٣.

(٢) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٤، ص٢٥.

أرسلوا عليهم خليجًا من البحر ورموهم بالنفط، فغرق كثير منهم، واحترق آخرون، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة، فلم يفلت منهم إلا القليل(١).

وبعد حرب طاحنة وكفاح كبير انتصر الجِيلانيون، ومُني جيش الإيلخانيين بقيادة الأمير سياوجي بهزيمة منكرة، وغاصت خيولهم في الوحل، وهلك أكثر الجيش، ولما وصل خبر الهزيمة إلى مسامع الأمير قطلوشاه فزع فزعًا شديدًا، وصار يدفع الجند إلى القتال دفعًا، غير أنه لم يستجب أحد له، ولاذ أغلبهم بالفرار، ففكر الأمير في محاولة منه لاستنقاذ ما يمكن إنقاذه؛ حيث أحال عددًا من أفراد جيشه لمحاكمة عاجلة وفق أحكام الياسا(٢) الجنكيز خانية، إلا أن هذه المحاولة لم تجد نفعًا، ولم تحقق فائدة تذكر، ومما زاد الأمر صعوبة؛ أن قطلوشاه أصيب بسهم فمات على أثره، مما كان له أبلغ الأثر في هزيمة الجيش المغولي الذي كان تحت قيادته، ووقوع غنائم كثيرة في أيدي الجِيلانيين(٣).

ـ الفرقة الثالثة: بقيادة الأمير طوغان والأمير مؤمن:

توجه الأميران طوغان ومؤمن إلى جِيلان عن طريق قَزْوِين إلى الأماكن التي حددها لهما السلطان، فلما وصلا إلى تلك المناطق؛ سلك حاكم تلك الحدود ـ وكان يسمى هندوشاه ـ طريق التواضع، وأرسل رسالة إلى الأمراء فحواها: إنني

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ص٧٢، ٧٣. حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٥.

(٢) الياسا: هي عدة قوانين وضوابط وضعها جنكيز خان لقومه من المغول؛ ليتحاكموا إليها، ويحكموا بها، ويقفوا على أوامرها، ونواهيها. ابن واصل (محمد بن سالم ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع، جـ٤، ص٣٦، ٣٧. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٧، ص١٦٠.

(٣) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٥. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٣.

طوع أمر السلطان (خدابنده) في كل ما يشير به، أدفع المال، أو أغادر المملكة، وعندما سمع منه الأمراء هذا الحديث؛ وعدوه بأخذه إلى السلطان، وتزكيته عنه ليجدد له حكم هذه الديار، فوافق الأمير هندوشاه على العرض المقدم له، ووفد إلى الأمراء، وقدّم فروض الطاعة، وعندما أتموا غزو تلك الولاية؛ رافقهم حاكم تلك الديار، وتوجهوا إلى معسكر السلطان محمد خدابنده[١].

ـ الفرقة الرابعة: بقيادة السلطان محمد خدابنده:

تحرك السلطان محمد خدابنده من عاصمته السلطانية سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) قاصدًا بلاد جِيلان بجيش جرار كثير العدد، حتى دخل ولاية تارم، ومن هناك توجهوا إلى منطقة دركرفك[٢] ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بتوفير الإمدادات اللّازمة من الحطب والوقود، وأمر الجيش بأن يتأهب، ثم عقد مجلسًا حربيًا ـ ويسمى عندهم قوريلتاي[٣]ـ وفقًا لقانون الياسا، وبعد انتهاء المجلس وضع عددًا من الأمراء في الميمنة، منهم (الأمير سونج، وعلي بادشاه، وطغاي كوركان، وتوقتيمور، وبهادر)، وعددًا آخر من الأمراء في المسيرة، منهم (الأمير إيرنجين، وجيجك كوركان، وجان تيمور)، كما وضع كلًا من الأمير (ايسن قتلغ، والوزير سعد الدين، والأمير برندق)، وأمراء آخرين في القلب، وتوجهت تلك

(١) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٥. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤.

(٢) دركرفك: ويطلق عليها درفك وهي اسم لقرية من قرى صفي آباد، وهذا الاسم يطلق ـ أيضًا ـ على جبل قريب من مدينة رشت الجيلانية. دهخلدا: لغت نامة، جلد هفتم، ص١٠٦٣٤.

(٣) القوريلتاي: هو مجلس عام يضم مجموعة من الأمراء، وكبار رجال الدولة، يُجتمع فيه لأجل الأمور المهمة، كالمجالس العسكرية، أو أجل تعيين أحد أعضاء الأسرة المالكة خانًا أعظم، أو حاكمًا. الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ هولاكو)، ص٢٣٤، حاشية رقم (١).

الجموع إلى مدينة لاهيجان بكامل تعدادها، وقامت الجيوش في بداية أمرها بمهاجمة خشتيجان[١] وكانت تجاور لاهيجان، ثم أسروا عددًا من أهلها[٢].

بعد نجاح الجيش المغولي في القضاء على خشتيجان قام بمهاجمة مدينة طالش الجيلانية، والتي كانت تتأرجح في وضعها بين الخضوع للمغول تارة وبين التمرد تارة أخرى، وقضوا على جماعة من الديالمة كانوا قد اعتصموا بالغابات فيها، فقتلوا أغلب رجالهم، وأسروا نساءهم وغلمانهم، ودمروا كل شيء أمامهم، ثم قصد السلطان بعد ذلك لاهيجان، وقبل مهاجمتها فكّر في أن يرسل إليها؛ يستحثها على الطاعة وعدم الوقوف في وجهه، ويغري أميرها ـ وكان يسمى شاه نو ـ، وأنّ عليه القدوم في الحال ولا يماطل ما دام مطيعًا، ووعده بالعفو والصفح عنه وعن ولايته إنْ فعل ذلك، كما حذّره ألا يغتر بوعورة الجبال، وصعوبة الغابات التي تؤدي إليه؛ لأن هذا الجيش لو وجد أمامه بحرًا لخاضه وما أبه به، ولو وجد أمامه جبلًا لجعله دكًا[٣].

وعندما وصل الرسول إلى لاهيجان استجاب أميرها وردّ ردًا حسنًا، وأنه عبد خادم، وأن الأمر لا يستحق قدوم السلطان محمد بنفسه، فلو كلّف عبدًا بهذا لكان طوع أمره، ثم عزم الأمير على المجيئ إلى مقر السلطان، وتقديم فروض الولاء والطاعة، ثم لم يلبث أن قدم السلطان بنفسه إلى لاهيجان، وعندما وصل إلى هناك أعدَّ أميرُها وليمة عظيمة، وبالغ في طلب العفو حتى عفا عنه، ومكث السلطان في لاهيجان أربعة أيام، وأدى صلاة عيد الأضحى فيها[٤].

---

(١) خشتيجان: وهي منطقة تابعة لقرية حمزة لو، التابعة لقسم خمين، التابع لمدينة محلات الإيرانية، وتقع تحديدًا شمال غرب خمين. دهخلدا: لغت نامة، جلد هفتم، ص٩٨٠٨.

(٢) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٦.

(٣) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٦.

(٤) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٧. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤.

وبعد أن استقر الحال للسلطان في لاهيجان كلَّف عددًا من الأمراء بأن يتوجهوا إلى ولاية تيمجان[١]، وعندما علم أميرها الأمير (محمد توادي) أن أمراء المغول يتجهون إلى دياره ومقر حكمه؛ رأى أنه لا طاقة له بمقاومتهم، فأرسل إليهم رسولًا يخبرهم بحضوره إليهم، وأنه سيدفع مقدارًا من المال لهم، فلقي هذا الأمر استحسانًا من الأمراء وارتضوا به، وفكّروا في التراجع عن أمر الحرب، غير أنه قد حدث ما غير اتجاه الصلح نهائيًا؛ وهو أن شخصًا جِيلانيًا يسمى (ماتيفي) وصف للأمراء المغول حجم الثروة والأموال في تيمجان، ونصحهم بعدم قبول الصلح، متعللًا بأن هذا القدر من الأموال لا يكفي مقياسًا بما وصفه لهم، الأمر الذي جعل أمراء المغول يتراجعون عن أمر الصلح، وعاد رسول الأمير محمد يائسًا دون التوصل إلى نتيجة إيجابية تذكر، فلم يجد الأمير بدًا إلا أن يسلك ـ مجبرًا ـ طريق الحرب والمقاومة[٢].

واستطاع الأمير محمد توادي أن يجمع جيشًا كبيرًا، واختار الجِيلانيون موقعًا حصينًا، واستعدوا للحرب، إلا أن المغول اغتروا بقوتهم، وكثرتهم العددية، وعظمتهم، وهيبتهم في قلوب الناس، هذا فضلًا عن عدم اتخاذهم مواقع جيدة للقتال، والتقى الطرفان، وتقاتلا، وفي تلك الأثناء قتل الأمير المغولي توقتيمور، وظفر الجِيلانيون في الجولة الأولى من المعارك، ووقعت الهزيمة على الفرقة المغولية، وتعقبهم الجِيلانيون، ومما زاد الأمر سوءا أن المغول فروا عبر طرق صعبة، الأمر الذي أدى إلى هلاك أغلبهم، ورجوع بقيتهم إلى العاصمة الإيلخانية (السلطانية)[٣].

(١) تيمجان: هي إحدى قرى منطقة أملش، التابعة لمدينة لاهيجان الجيلانية. دهخلدا: لغت نامة، جلد بنجم، ص٦٩٩١.

(٢) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٧، ٢٨.

(٣) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٧، ٢٨.

ولما عرف السلطان محمد بما حل للفرقة المغولية في لاهيجان، ووصل إليه في الوقت نفسه خبر مقتل نائبه الأمير قطلوشاه في تولوم، غضب غضبًا شديدًا، وفكر في ترتيب صفوفه، فقام بترشيح جماعة أخرى من الأمراء على قدر كبير من الكفاءة ليذهبوا إلى تلك الحدود، ويثأروا لمقتل قائده، ويقوموا بالمهمة التي كان من المفترض أن يقوم بها، فاختار الأمير (صنداوه، والشيخ بهلول، وأبو بكر) مع جمع من الجيش، يقدر عددهم بثلاثة آلاف فارس، وكلفهم بهذه المهمة، ولما وصلت هذه الفرقة إلى تلك الحدود ورأى أهل جِيلان قوة الجيش المغولي؛ اتحد أهل بومن ورشت وتولوم مع بعضهم بعضًا، وكانوا قد تجمعوا في مكان واحد، وصمموا على الحرب، ولمَّا كانوا قد ظفروا مرة؛ أصبحوا أكثر جرأة في ظل هذا الوهن الذي آل إليه جيش المغول، وبذلوا قصارى جهدهم، وقتل من الطرفين خلقٌ كثير، وأمام هذه المأساة تشاور الأمراء بينهم فيما عساهم أن يفعلوا، واتفقوا في آخر الأمر على أن يتحصن ما تبقى من الجيش في موقع حصين، وأن يذهب أحد الأمراء (وكان يسمى بهلول) إلى السلطان محمد، ويعرض عليه حقيقة الموقف، ويطلب منه مددًا، وبعد أن يصل المدد؛ يستأنفوا القتال، واتفق الأمراء على هذا الرأي(١).

لما وصل الأمير بهلول إلى السلطان وعرض عليه حقيقة الواقعة؛ عيَّن الأمير حسن والأمير سونج على قيادة الجيوش، وأمر بأن يتحرك باقي الأمراء من رجال الجيش ذوي الخبرة الذين كانوا متوجهين إلى بومن وتولوم ورشت إلى تلك الديار، وعندما وصلوا إلى هناك، انشغل الطرفان بتهيئة الصفوف للقتال، ووقعت بين الطرفين معركة كبرى، أسفرت عن عدد كبير من القتلى، ولما رأى

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ص٧٢، ٧٣. حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٨، ٢٩.

الأمير سونج شجاعة الجِيلانيين؛ صرخ في جيش المغول، وأمرهم بإطلاق سهامهم، ونزل فضرب خيمته، وأمر جنده بالهجوم، وقد قتل نصف الجِيلانيين في المعركة، ولاذ نصفهم الآخر بالفرار، وتعقبهم جيش المغول؛ فلجئوا للجبال والغابات، وبعد أن اقتحم جيش المغول بومن وتولوم ورشت، وأشاعوا النهب والسلب والأسر، وفعلوا كل تدمير كان في إمكانهم، وعندما تحققت لهم السيطرة؛ أرسلوا بريدًا إلى السلطان محمد يبشرونه بتمام غزوها، والسيطرة عليها(١).

وهكذا استطاع المغول بعد جهد كبير، وعناء شديد إخضاع جميع مناطق بلاد جِيلان، وضمها إلى حوزتهم، وذلك بعد أن بذل المغول لأجلها كثيرًا من أموالهم، وأرواح جنودهم، ولم يبق بها أي متمرد في أي مكان.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ص٧٢، ٧٣. حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٨، ٢٩. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤.

المبحث الرابع: جِيلان بعد سيطرة المغول عليها

إن فتح جِيلان يبدو للوهلة الأولى أمرًا سهلًا؛ نظرًا لصغرها وقربها من ناحية، وضعف أمرائها المحليين من ناحية أخرى، لكن سرعان ما تبيّن أنه أمر صعب للغاية؛ وذلك لوعورة طرقها، ووجود الموانع التي لا تحصى بها، من غابات وجبال وأمطار ووحل، الأمر الذي جعل المهمة أمام الجيش المغولي غير سهلة، فقد لقي المتاعب والمخاطر في كل خطوة، هذا فضلًا عما قدمه الأهالي من دفاع باسل مستميت لأجل أرواحهم وأموالهم، فكان هو الآخر سببًا في إلحاق خسائر جسيمة بجنود المغول، وعلى الرغم من أن السلطان تمكن في النهاية من فتح الطرق إلى جِيلان، وإخضاعها لسلطانه، وإجبار أمرائها وأهلها على دفع الخراج؛ إلا أنها أسفرت عن خسائر جسيمة في الأرواح، أعظمها مصرع الأمير القائد قطلوشاه، الذي كان الشخصية الأولى في الدولة آنذاك(١).

ـ المخالفات التي ارتُكبت في حرب جِيلان والفصل فيها:

لا شك أن غزو جِيلان أنهك القوات المغولية، وكلّفهم كثيرًا من الخسائر المادية والبشرية، وكان هذا أمر غير طبيعي، إذا ما قورن بما عرف عن المغول من سطوة وهيبة وغزو للبلدان، خاصة وأن جِيلان بلدة صغيرة، فكان لا بد من البحث عن أسباب هذا الاستعصاء والتأخر في غزوها، ومقتل بعض الأمراء الكبار.

ومن خلال التوقعات الأولية تبيَّن للسلطان محمد أن ثمة مخالفات قد ارتُكبت، سواء أكانت من قبل الأمراء والقادة، أم من قبل أفراد الجند، فلم يكن أمام السلطان إلا أن ينتظر إتمام القوات المغولية سيطرتهم الكاملة على كل بلاد جِيلان، ثم قام ـ بواسطة القضاة ـ بإجراء تحقيق عاجل لمعرفة سبب التأخر،

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٧٩. تاريخ المغول، ص٣١٣.

وسبب مقتل الأمراء، والبحث عن المذنبين، ومن ثم محاكمة المقصرين[١]، فتأكد للسلطان ـ من خلال التحقيقات النهائية ـ إدانة بعض الأمراء، وتورطهم في هذه القضية، على رأسهم الأمير سياوجي بن قطلوشاه؛ لأنه هو الذي أوجد بداية الفتنة؛ لكونه لم يصغ لأي حديث ونصيحة؛ مما أدى إلى مقتل أبيه، ثم أدانوا ـ أيضًا ـ الأمير (ماتيفي)؛ لرفضه الصلح على الرغم من قبول جلّ الأمراء المغول به في تيمجان، فقتل على إثر ذلك عدد كبير من الجند، كما تمت إدانة بعض

(١) ومن الجدير بالذكر أن القانون الجنكيز خاني (الياسا) قد اشتمل على مواد تخص الجوانب العسكرية في حياة المغول، ومن هذه القوانين ما حثَّ على الإعداد العسكري الجيد، مثل إلزام القائد بعرض عساكره وأسلحتهم إذا أرادوا الخروج إلى القتال، وأن يعرض كل ما سافر به الجند، وينظر حتى الإبرة والخيط، فمن وجده مقصرًا في شيء مما يحتاج إليه عند عرضه إياه عاقبه، ومن تلك القوانين ـ أيضًا ـ ما رتّب أمور القيادة، فمن موادها: أنه (جنكيز خان) رتب لعساكره أمراء، وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشراوات، حتى النساء ألزمتها الياسا بتكاليف كالرجال، إذ عليهن القيام بما على الرجال من التكاليف أثناء غيبتهم في القتال، ومنها ما يخص أسرى الحرب: كمن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل، ومن وجد عبدًا هاربًا أو أسيرًا قد هرب ولم يردّه على من كان في يده قتل. هذا فضلًا على أنه من ضمن بنودها ما يحث على طاعة الجندي، فجعلت (الياسا) على العساكر إذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها إليه، كما اشتملت قوانين الياسا على مواد تعاقب المقصرين، فمنها: أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبعث إليه الملك أخس من عنده حتى يعاقبه فإنه يلقي نفسه إلى الأرض بين يدي الرسول وهو ذليل خاضع، حتى يمضي فيه ما أمر به الملك من العقوبة، ولو كانت بذهاب نفسه، كما ألزمهم أن لا يتردد الأمراء لغير الملك، فمن تردد منهم لغير الملك قتل، ومن تغير عن موضعه ـ في القتال ـ الذي يرسم له بغير إذن قتل. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ "الخطط المقريزية"، تحقيق/ محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، جـ٣، ص٨٣، ٨٤.

الأمراء الآخرين؛ بسبب التقصيرات التي قاموا بها، وفي النهاية عرضوا على السلطان محمد خدابنده نتيجة تلك التحقيقات، وفي كل القضايا، وعلى الفور أمر بتوقيع العقاب على الأمير (ماتيفي) وعدد من الأمراء، كما أمر بجلد بعضهم الآخر ممن كانوا أقل إثمًا وفقًا لقانون الياسا، ثم أصدر أمره بقتل الأمير سياوجي بن قطلوشاه إلا أنه عُصم دمه بموت أبيه، وتم الاكتفاء بضربه بالعصا، وعزلة من منصب أبيه في الجيش، وهو (أمير تومان[١])، ومنح ذلك المنصب إلى الأمير جوبان، ثم عاد السلطان إلى العاصمة (السلطانية)، وذلك بعد الانتهاء من التحقيقات ومعاقبة المذنبين، وصحب في عودته كل أمراء جيلان الذين أخضعهم[٢].

بعد أن فرغ السلطان محمد من أمر المحاكمة؛ عاقب أمراء مناطق جِيلان، وذلك بفرضه خراجًا سنويًا عليها، وهو كمية من الحرير، وبالفعل ظلوا يرسلون هذا الخراج بشكل ثابت حتى آخر عهده ، ولم يتمرد أي إنسان في جِيلان على حكم هذا السلطان بعد ذلك[٣].

---

(١) التومان: أو (الطومان)، وهي الفرقة من الجند التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل، وتجمع على توامين. الجِوَيْني (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): تاريخ فاتح العالم "جهانكشاي"، ترجمة: محمد ألتونجي، دار الملَّاح، حلب، سوريا، الطبعة الأولي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، جـ١، ص٧٠. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، بالاشتراك مع دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٤٨، ٤٩.

(٢) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص٢٩. خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٩٤. عباس إقبال: تاريخ إيران، ٤٧٩.

(٣) حافظ آبرو: المصدر السابق، ص٢٩. خواندمير: المصدر السابق، جلد سوم، ص١٩٤.

وبتحليل النصوص واستقراء المعلومات يمكن القول: أن السلطان محمد خدابنده فعل ذلك للأسباب الآتية:

أولًا: أراد أن يؤدب الجِيلانيين وأن يطمئن إلى جانبهم، وفي الوقت نفسه حتى لا يعودوا لمثل هذا العصيان مرة أخرى، وأن يكون ذلك عبرة لكل متمرد تسول له نفسه فعل ذلك.

ثانيًا: تقديم الخراج بهذه الصورة وهذا الشكل دليل على ولاء الجيلانيين، وخضوعهم وتبعيتهم للحكم الإيلخاني.

ثالثًا: أراد السلطان محمد خدابنده من ذلك عائدًا اقتصاديًا، وهو أن ينعش الخزينة الإيلخانية بعوائد بلاد جِيلان، لا سيما وأنه وقف على ثرواتها وخيراتها ومنتجاتها.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه عن "الغزو المغولي لبلاد جِيلان"، تبيّن أن المغول اهتموا بهذه البلاد، وحرصوا على فتح الطريق إليها، وإخضاعها، ومن ثم ضمها لحوزتهم، والانتفاع من خيراتها وثرواتها، وقد أسفر البحث عن عدة نتائج، وتوصيات:

ـ أولًا: النتائج:

ـ توصل البحث إلى أن جيلان لها طبيعة جغرافية تختلف عن بلدان كثيرة ممن قام المغول بغزوها، فالمسالك والطرق إليها صعبة، وطبيعة بلادهم محصنة تحصينًا طبيعيًا، وهذه الظروف الجغرافية جعلتها في مأمن من غزو المغول ونهبها حينًا من الدهر.

ـ كما توصل البحث إلى أن السكان في جيلان لهم طبيعة صعبة تتناسب مع مناطقهم التي يعيشون فيها، غير أنهم يلتزمون بتعاليم الإسلام بدرجة كبيرة، ومذهب غالبيتهم حنبلي، وأن أهلها قوم اقتصاديون يتعيشون على تجاراتهم، وزروعهم، وصيد الأسماك، هذا فضلًا عن اشتهارهم بإنتاج الحرير.

ـ تبيّن من خلال البحث أن بلاد جيلان تشتمل على عدة مدن، منها أربع كبار، ولكل مدينة منها حاكم خاص بها، وجيوش مستقلة، واقتصاد منعزل، كما تبيّن أن العلاقة بين هذه الممالك الصغيرة لم تكن على وفاق في أغلب الأحيان، فالعداء والنزاع قائم بينهم، ويتجمعون ويتحدون عند مواجهة أي عدو خارجي.

ـ وضح من خلال البحث أن بلاد جيلان لم تكن تدين بالولاء للمغول، ورغم ذلك كانت تسك عملة وفق عملتهم، كما وضح أنها سَلِمت مدة من نهب المغول وغزوهم، ولم يتم السيطرة عليها إلا في عهد السلطان محمد خدابنده.

ـ أظهر البحث أن السلطان محمد سلك طرقًا سلمية مع الجيلانيين، وخاطبهم بالود مرارًا وتكرارًا؛ لفتح طرقهم، ومسالكهم، غير أنهم قابلوا ذلك بالرفض والعصيان والعناد.

ـ تبيّن من خلال البحث أن السلطان محمد استنفذ كل الحيل السلمية، فلم يجد بدًا من أن يسلك طريق القهر والقوة والحرب، فجيَّش لها الجيوش وأعدّ لها القادة الكبار، وقامت تلك الجيوش ببذل قصارى جهدها لغزوها، والسيطرة عليها، إلى أن تم لها ذلك.

ـ توصّل البحث إلى أن المغول فرضوا على الجيلانيين خراجًا سنويا، وذلك بعد أن نجحوا في سيطرتهم عليها وإخضاعها.

ـ أظهر البحث مدى قوة وحزم المغول في تعاملهم مع الأمور العسكرية، وأنهم لا يقبلون التهاون والتفريط والتكاسل في المهمات العسكرية أبدًا، وأن المحاكمة العسكرية ـ وفق قانونهم الجنكيز خاني ـ تنتظر كل من تسول له نفسه العصيان والتقصير والتخاذل، وهذا ما فعله السلطان محمد مع عدد من الأمراء عقب السيطرة على جيلان.

ـ ثانيًا: التوصيات:

ـ أوصي الباحثين في تاريخ المغول وتاريخ البلدان الشرقية المزيد من دراسة الأقليات والفئات المندثرة في التاريخ، وإظهار دورها وأهميتها في صنع الأحداث التاريخية، كالأكراد، واللور، والجِيلانيين، والمجموعات التي سكنت الجبال، وغيرهم.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم (جلّ من أنزله).**

أولًا: المصادر العربية والفارسية:

ــ الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م):

١ ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨.

ــ ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت٧٧٩هـ/ ١٩٧٧م):

٢ ــ رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ــ البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي الأندلسي ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

٣ ــ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ــ بيبرس الدَّوَادَار (ركن الدين بيبرس المنصوري ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م):

٤ ـ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق/ دونالد س ريتشَاردز، مؤسسة حسين درغام، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ــ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٥ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ـ الجِوَيْني (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

٦ ـ تاريخ فاتح العالم "جهانكشاي"، ترجمة: محمد ألتونجي، دار الملَّاح، حلب، سوريا، الطبعة الأولي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ـ حافظ أبرو (لطف الله بن عبد الله الهروي ت٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م):

٧ ـ ذيل جامع التواريخ رشيدي لحافظ آبرو، ترجمة: محمد عبد الله عبد السلام، في رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية وآدابها، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م.

ـ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

٨ ـ تذكرة النبيه في أيام المنصور وبَنِيه، تحقيق/ محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ـ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٩ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ـ الحِمْيَري (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م):

١٠ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

ـ ابن حوقل (محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):

١٢ ـ صورة الأرض، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م):

١١ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف باسم: "تاريخ ابن خلدون"، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ خواندمير (غياث الدين محمد بن همام الدين محمد ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

١٢ ـ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تصحيح: محمد دبير سياقي، از انتشارات كتابفروشي خيام، تهران، در هزار نسخة سال، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.

١٣ ــ دستور الوزراء، ترجمة: حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

ــ دهخلدا (علي أكبر دهخلدا):

١٤ ــ لغت نامة، مؤسسة انتشارات وجاب دانكشاه، طهران، جاب دوم، ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م.

ــ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

١٥ ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٦ ــ العبر في خبر من غبر، تحقيق/ أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ــ ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م):

١٧ ــ صدق الأخبار، المعروف بـ "تاريخ ابن سباط "، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.

ــ السخاوي (أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبَغا ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

١٨ ــ الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق/ شادي محمد سالم، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م.

ــ الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

١٩ ـ الملل والنحل، تحقيق/ أمير علي مهنا، على حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـ الصَّفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٢٠ ـ أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق/ علي أبو زيد، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، طبع بالاشتراك مع دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م):

٢١ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ـ العُمَري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

٢٢ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق/ بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ ابن العميد (أبو المكارم مكين جرجس ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م):

٢٣ ـ أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، لم تذكر سنة الطبع.

ـ الفراهيدي (الخليل بن أحمد ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م):

٢٤ ـ كتاب العين، تحقيق/ عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م):

٢٥ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق/ مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٦ ـ مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق/ محمد الكاظم، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ـ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):

٢٧ ـ آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

٢٨ ـ صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.

ـ ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

٢٩ ـ البداية والنهاية، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ الكرخي (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

٣٠ ـ المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م):

٣١ ـ حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة/ السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

٣٢ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ "الخطط المقريزية"، تحقيق/ محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):

٣٣ ـ لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ـ النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م):

٣٤ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ الهمذاني(رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م):

٣٥ ـ جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٣٦ ـ جامع التواريخ، (الإيلخانيون، تاريخ هولاكو)، ترجمة: محمد صادق نشأت، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع.

٣٧ ـ مكاتبات رشيدي، لرشيد الدين فضل الله الهمذاني، وقد تم ترجمته في رسالة ماجستير: للباحثة/ ثريا محمد محمد، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

ـ ابن واصل (محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

٣٨ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع.

ـ ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٣٩ ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق/ أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

ـ اليافعي (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي ت٧٦٨هـ/ ١٢٦٦م):

٤٠ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ـ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

٤١ ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

ـ اليونيني (قطب الدين موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م):

٤٢ ــ ذيل مرآة الزمان، تحقيق/ حمزة أحمد عباس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ـ ثانيًا: المراجع:

ــ حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م):

١ ـ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق/ محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م.

ــ جورج لاين:

٢ ــ عصر المغول، ترجمة: تغريد غضبان، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "مشروع كلمة"، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.

ـ جيز. هـ. ويبلد، وآخرون:

٣ ـ جغرافية العالم الإقليمية آسيا أفريقيا أمريكا، ترجمة: محمد حامد الطائي، وآخرين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

ـ حسن الباشا:

٤ ــ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

ـ رجب عبد الجواد إبراهيم:

٥ ـ المعجم العربي لأسماء الملابس (في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث)، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ الرمزي (محمد بن محمد توفي بعد سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م):

٦ ـ تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ رينهارت دوزي:

٧ ـ تكملة المعاجم العربية، ترجمة/ محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ـ الزَّبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ت١٢٠٥هـ١٧٩٠م):

٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

ـ عباس إقبال:

٩ ـ تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٨هـ/ ٨٢٠م ـ ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٠ ـ تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علّوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ عبد الحكيم العفيفي:

١١ ـ موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ محمد أحمد دهمان:

١٢ ــ معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، طبع بالاشتراك مع دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

ـ محمد سهيل طقوش:

١٣ ــ تاريخ الأكراد (٦٣٧ــ ٢٠١٥م)، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

ـ محمود محمد الحويري:

١٤ ـ الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

ــ مصطفى عبد الكريم الخطيب:

١٥ ــ معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ــ نخبة من العلماء:

١٦ ــ موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ــ يحيى شامي:

١٧ ــ موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.